الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
السنة الثانية ماستر تخصص المغرب العربي الحديث

مسألة الإسترقاق وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال عهد الدايات (1671م-1830م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان التاريخ

من اعداد الطالبين:
بالحبيب علي
بن الضب البشير

تحت اشراف الاستاذ:
الدكتور.محدادي محمد

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي عملي المتواضع إلى من ربياني على الفضيلة ومكارم الأخلاق

إلى من علماني أن العلم لا يفنى إلى من غرسا في حب المثابرة

والاجتهاد والدي العزيزين: أبي رحمه الله واسكنه فسيح جناته وأمي

حفظها الله ورعاها.

كما أهديه إلى كل جنود الخفاء إخوتي وأخواتي، ولزملاء

التخصص دون أن أنسى الدكتور بوبكر محمد فوزي لكل ما قدمه لنا

من نصح وارشاد ومتابعة.

بالحبيب علي

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى روح والدي الحبيب،الذي فارقنا بجسده لكنه بقي في قلوبنا بروحه ونصائحه،كنت ولا زلت قدوتي ومصدر إلهامي، وأسأل الله أن يجزيك عني خير الجزاء ويسكنك فسيح جناته..

إلى والدتي الغالية رمز الحب، والعطاء،شكراً لكِ على دعمك اللا محدود وتضحياتك العظيمة من أجلي. لقد كنتِ دائماً السند والملاذ الآمن لي، ولن أنسى جميلك ما حييت.

إلى زوجتي العزيزة شريكة حياتي ورفيقة دربي، لقد كنتِ دائماً الداعم والمشجع لي في كل خطوة خطوتها،شكراً لكِ على صبرك وتفهمك وتحملك لمتاعب هذه الرحلة ، إلى أبنائي الأعزاء نورعيني وسر سعادتي،أنتم الدافع الأكبرلي لتحقيق هذا الإنجاز، وأتمنى أن أكون قدوة حسنة لكم وأن تفخروا بي كما أفخر بكم

إلى أساتذتي الكرام، الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم ونصائحهم،شكراً لكم على جهودكم المبذولة وإخلاصكم في تدريسنا وتوجيهنا،إن ماوصلت إليه اليوم كان بفضل توجيهاتكم وإرشاداتكم أهدي لكم جميعاً هذا العمل المتواضع،وأتمنى أن يكون بداية لمزيد من النجاح والتفوق في حياتنا

راجياً من الله التوفيق والسداد لنا جميعا

بن الضب البشير

شكر وعرفان

إن أول شكر يكون للأمجد الذي له نمجد وأيدينا له نمدد فأجابنا و لم يخيبنا، إلى الواحد الأحد الذي منا علينا بنعمة العقل، وبث فينا روح الجد والمثابرة ،وثاني شكر وعرفان يكون للأستاذ المشرف: **محدادي محمد** الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته التي نالت لنا والصعاب التي واجهتنا خلال مختلف مراحل البحث، ونشكره ألف شكر لصبره معنا فقد كان نعم الأستاذ.

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى الدكتور بوبكر محمد فوزي من جامعة غرداية على نصائحه وتوجيهاته التي ساعدتنا كثيرا في إنجاز هذه المنكرة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الذين أشرفوا على تدريبنا خلال مرحلة الماستر وبذلوا جهودا مضنية من أجلنا وأخص بالذكر: الدكتور الشيخ لكحل.

وفي الأخير أتوجه بالشكر الخالص لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي تم بفضل الله أولا وبفضلهم ثانيا.

مقدمة

مقدمة

كان للأسرى الأوروبيون تأثير كبير على العلاقات الجزائرية الأوروبية، فجل الحملات العسكرية التي عرفتها الجزائر خلال هذه الفترة كان الهدف منها تحرير الأسرى ومعاقبة الجزائر على نشاط الجهاد البحري. وقد شكل الأسرى الأوروبيون نقطة مهمة ارتكزت عليها المحادثات الجزائرية الأوروبية، ويبرز ذلك من خلال البعثات الدبلوماسية، وأغلب المعاهدات المبرمة بين الجزائر وأوروبا احتوت بنودها على شروط تحرر الأسرى.

وأهم الدول التي تأثرت علاقات مع الجزائر مسألة الأسرى والاسترقاق: فرنسا واسبانيا وانجلترا، ونتيجه للنشاط البحري المكثف من قبل الجزائر واستمرارها في إلحاق أضرار كبيرة بالتجارة الأوروبية، عمدت هذه الأخيرة إلى عقد مؤتمر دولي لمناقشة مسألة الجهاد البحري وتبعاته، فانعقدا مؤتمر فينا عام 1815م، هذا المؤتمر الذي تعدت أهداف انعقاده إلى التدخل في شؤون دول المغرب العربي وخاصة الجزائر.

وفي نفس الشأن تحدت الدول الأوروبية وأصدرت بيانا عاما نصت فيه على منع استرقاق المسيحيين، وباشرت بعدها في تنفيذ هذا القرار من خلال توجيه حملتها العسكرية على الجزائر، وتمثلت في حملة اللورد اكسماوث، والحملة الإنجليزية الهولندية 1816.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على عامل أساسي من العوامل المتحكمة في العلاقات الجزائرية الأوروبية، وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع و رغم قلة الدراسات حوله ،هو الرغبة في إبراز تأثير هذه القضية على العلاقات بين الجزائر وأوروبا في أ واخر فترة الحكم العثماني للجزائر(فترة الدايات) ومحاولة منا الوقوف عند أهم تداعيات هذه القضية ونتائجها على الجزائر، وهذا الأخير هو تحفيز الأستاذ المشرف ونصائحه التي عززت الثقة في نفسنا لدراسة الموضوع.

وقد عالجنا هذا الموضوع انطلاقا من إشكالية شملت الأسئلة التالية: كيف أثرت قضية الاسترقاق على العلاقات الجزائرية الاوروبية خلال فترة الدايات ؟

والى مدى تحكمت هذه القضية في توجيه السياسة الدولية الخارجية للجزائر آنذاك ؟

وكيف كانت الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوروبيون بالجزائر؟ ، وكيف كان يتم افتداء الأسرى، وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا و اعتمدنا على المنهج الإحصائي بالأخص بتعداد الأسرى، والسردي و التحليلي بحيث تتبعت من خلاله الإحصاءات العددية الخاصة بالأسرى وأوضاعهم المعيشية، وتداعيات قضية الأسر على علاقات الجزائر هع كل من فرنسا وإسبانيا وإنجلترا.

ولعل أهم الصعوبات التي واجهتنا هي نقص المادة العلمية المتخصصة، لأن أغلب كتابات الأسرى الأوروبيون تتحدث عن أوضاعهم بالجزائر، أكثر من أي أمر آخر.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع باللغتين العربية والفرنسية، ومن أهم المصادر التي اعتمدتنا عليها منكرات الأسرى الأوروبيون التي تكمن قيمتها في كونها تحتوي على شهادات أسرى قضوا مدة طويلة في الجزائر، وسجلوا معلومات مهمة أفادتنا في معالجة هذا الموضوع:

– **مذكرات تيدنا** للأسير الفرنسي "تيدنا"، الذي نشر الدكتور حميدة عميراوي نصها الكامل في كتابه *"الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني: مذكرات تيدنا نموذجًا ."* وقع "تيدنا" في الأسر عام 1779م، وبقي تحت الأسر إلى غاية تحريره سنة 1782م. استطاع "تيدنا" أن يكسب ثقة الباي محمد الكبير، فتحوّل من خادم في قصره إلى موظف كبير برتبة خازن دار.

– تُعتبر مذكرات "تيدنا" ذات قيمة كبيرة لما احتوته من معلومات وشهادات اتسمت بموضوعية كبيرة، حيث مكّنتنا من تغطية جوانب هامة من تاريخ الجزائر في مجالات متعددة، خاصة في الجانب الإداري. وقد أفادتنا المذكرات بمعرفة المعاملة الحسنة التي تلقاها هو وبعض الأسرى في الجزائر، بالإضافة إلى تقديمه نموذجًا مهمًا عن كيفية تحرير الأمير الأوروبي في الجزائر، وهو ما يُعرف بـ"الاقتداء الذاتي".

– مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المفربلكاثكارت جيمس ليغدر: يحتوي هذا الكتاب على

معلومات في غاية الأهمية.

وقسمت عملي إلى ثلاثة فصول وكل فصل يتنا ول أخبارا مهمة عن الحالة السياسية للجزار خلال هذة الفترة وعن علاقتها مع أوروبا وأمريكا، وبعض المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لمدينة الجزائر. أفادنا في معرفة أهم السجون التي كانت موجودة في الجزائر لأنه أعطى لنا وصفا دقيقا عن هذه السجون، وأفادنا أيضا في نكره لأهم مستشفى إسباني بني خصيصا لمعالجة الأسرى الأوروبيين.

مذكرات جزارية عشية الاحتلال "للطبيب والأسير الألماني بغايغرسيموف، الذي وقع في أسر البحارة الجزائريين عام 1825م، وقضى خمس سنوات في مدينة الجزائر. عمل لمدة سنتين في قصر الخزناجي أفندي، ثم أصبح طبيبه الخاص.

تبرز أهمية هذا الكتاب من خلال تناوله للعلاقات الجزائرية–الفرنسية في الفترة التي سبقت دخول الفرنسيين إلى الجزائر، كما أفادنا في معرفة أهم الأعمال التي زاولها الأسرى داخل قصر الداي.

وتعتبر كتابات القناصل هي الأخرى من المصادر المهمة في معالجة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني

وقد قسمنا هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول: الفصل الاول بعنوان: نشاط الجهاد البحري وعلاقته بتزايد عدد الأسرى خلال العهد الدايات العثماني الذي حاولنا من خلاله إبراز نشاط البحرية الجزائرية وتأثيرها على تزايد عدد الأسرى قبيل فترة الدايات.

أما الفصل الثاني بعنوان: تأثير عدد الاسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال فترة 1671 و 1815م وضمت الفترة مفاوضات البعثات الدبلوماسية والمعاهدات المبرمة بين الجزائر والدول الأوروبية حول قضايا الأسرى الجزائر العثمانية الأسرى وهو يضم أهم الحملات العسكرية الاوروبية على الجزائر و الحملات الفرنسية والاسبانية والانجليزية.

اما الفصل الثالث بعنوان التكتل و التحالف الاوروبي ضد الجزائر خلال الفترة الاخيرة لحكم الدايات من

1815م الى 1830م و تضم هذه الفترة ابرز المؤتمرات التي عرضت فيها قضية الاسترقاق في حوض البحر الابيض المتوسط آنذاك ونخص بالذكر مؤتمر فيينا سنة 1815 ومسألة الاسترقاق ومؤتمر اكس لاشابيل1818م الذي تناول قضية القرصنة وكان اهتمامنا منصبا على إبراز تداعيات هذه المسألة ، وما أعقب هذا المؤتمر من التكتلات الأوروبية ضد الجزائر.

وختمنا بحثنا بخاتمة، ضمناها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها.

والله الموفق.

الفصل الأول: الجهاد البحري ودوره في تزايد عدد الاسرى

المبحث الاول: القرصنة والجهاد البحري والأسر

المبحث الثاني: بعض مظاهر حياة الأسرى الأوربيون.

تمهيد

تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني يعتبر فترة مهمة في تاريخ الشعب الجزائري، حيث شهدت البلاد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة، أحد أهم الجوانب التي تميزت بها الفترة العثمانية في الجزائر هو الجهاد البحري الجزائري، الذي كان جزءًا من الجهاد ضد القراصنة المسيحيين الذين كانوا يهاجمون سواحل شمال إفريقيا.

في هذا الفصل، سنقوم بدراسة حول الجهاد البحري الجزائري وحيات الأسرى الأوروبيين خلال العهد العثماني في الجزائر. سنناقش قضية القرصنة والجهاد البحري والأسرى، وعوامل ازدهار النشاط البحري الجزائري، وتقديرات حول الأسرى بمدينة الجزائر، وبعض مظاهر حياة الأسرى الأوروبيين.

المبحث الاول: القرصنة والجهاد البحري والاسر

في هذا المبحث، سنسلط الضوء على عدة جوانب مهمة تتعلق بالجهاد البحري الجزائري، القرصنة، وأسرى الحرب خلال الفترة العثمانية.

المطلب الأول: مفهوم الاسترقاق

لغةً: مشتق من كلمة "الرِّق"، وهي تعني الاستضعاف والتملك. يُقال "استرقَّ فلانٌ مملوكَه" أي جعله عبدًا وامتلكه، ويقال أيضًا "أرَقَّه" أي جعله رقيقًا، وهو عكس "أعتقه" الذي يعني تحريره من العبودية.

أما كلمة "الرِّق" نفسها فتدل على الضعف والانكسار، وتُستخدم للإشارة إلى خضوع الإنسان وسلب حريته[1].

اصطلاحًا: يُعرّف بأنه نظام اجتماعي يسمح لشخص أو جماعة بتقييد حرية فرد أو أفراد، ويُطلق على هؤلاء الأفراد "الرقيق" أو "العبيد."

ويتم إجبار الرقيق على ممارسة أعمال أو تقديم خدمات لصالح من يمتلكهم، ويُعتبر الرقيق ملكًا شرعيًا للمالك الذي يتصرف به كما يشاء ضمن حدود متعارف عليها.

هذا النظام كان شائعًا في المجتمعات القديمة، حيث كان يُنظر إلى الرقيق كسلعة تُباع وتُشترى، ويتم استخدامها في الأعمال الزراعية، المنزلية، وحتى العسكرية.

المطلب الثاني: القرصنة والجهاد البحري

أثارت مسألة الجهاد البحري الجزائري اهتماما كبيرا لدى مؤرخي الغرب، واقترنت البحرية الجزائرية عندهم بأوصاف عدة، كالقرصنة واللصوصية والسرقة،[2] ومما لا شك فيه أف الاهتمام الباذخ الذي حظيت به البحرية

---

[1] – مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، بتاريخ 2025/01/15، رابط الموقع الالكتروني: https://qamus.inoor.ir/ar/1GL07L/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82#sameRoot

[2] – محمد الأمين عطلي ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أ.د : عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، قسم التاريخ ، 2012 ص : 37 .

الجزائرية من قبل المؤرخين الغربيين، ليس لأن البحارة الجزائريين كانوا أنشط وأبرع القراصنة فحسب، بل لأن نشاطهم كان موجها ضد السفن الأوروبية مبينا لها خسائر كبيرة، والأكثر من ذلك كله أنهم حملوا الكثير منهم الأسرى إلى الجزائر، إلى درجة أنها أصبحت تلق بعاصمة العبيد البيض لكثرة الأسرى الأوروبيين بها[1]، إن القرصنة لم تكن اختصاصا إسلاميا كما يدعي الغرب، بل كان يقوم يا الأوربيون والمسلمون على حد سواء، وهذا باعتراف الكتاب الغربيين أشهم، ويقول كان ي هذا الصدد متحدثا عن المسلمين لم يقوموا وحدهم بالقرصنة بل هناك الإنجليز والهولنديون وأناس من مختلف الأمم كانوا يمارسون القرصنة ببشاعة وعنف ،[2] وبالنسبة للمسلمين كان نشاطهم هذا جهاد بحري تبنوه نتيجة تعرضهم للاعتداءات المسيحية الإسبانية والبرتغالية[3]

ويختلف مفهوم القرصنة باختلاف مفاهيم و تيارات الدول السياسية ،فهي من نوع الحروب البحرية ما بين الدول المتعادية مقننة بتنظيم وتقاليد و تميزها عن حركة السلب و النهب و قطع الطرق و اللصوصية ،فهي عبارة عن سفن مسلحة تعمل باسم حكومة و دولة ما مكلفة بمهام ضد سفن و سواحل اعداء مقصودين بالذات فهي بمثابة حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب المتوسط خاصة ،باركتها كل الدول لتحقيق الازدهار و التقدم ورد الاعتداء و مثلت بالنسبة للمسلمين شكلا من اشكال الجهاد البحري.

وبهذا المفهوم الاصطلاحي للقرصنة نستطيع ان نفند الطرح الاوروبي الذي بالغ في تشويه صورة البحرية الجزائرية و نشاطها خلال العهد العثماني ،وما يمكننا قوله ان البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني قامت بدورها و فرضت وجودها في ساحة المتوسط انقيادا لما املته العقيدة و الاعراف الدولية أنذاك ،وقد فسر بعض المؤرخين القرصنة بانها حرب ذات طابع اقتصادي او بالاحرى صناعة ،اذ هي شكل من اشكال الحرب التجارية تعتمد على التفوق في

[1] – إسحاق زيتوني ، البحرية الجزائرية و تأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519 – 1800 م) ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث ، ومن اشراف: عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، قسم التاريخ ، 2012 ، ص : 19

[2] – شويتام آرزقي نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800 – 1830 م) ، ط1 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : الجزائر ، 2010 ، ص : 49

[3] – بليل رحمونة ، دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال الثامن عشر ، ضمن مجلة الحوار المتوسطي ، العدد : 02،2010، ص:19 .

العتاد الحربي، وهذا النوع من الحروب كان جد مألوف و معمول به عالميا ، و الممارسين لهذا النشاط ينتمون الى ديانات واصول مختلفة [1] عمروا البحار و المحيطات العالمية بكاملها ، و لقد اثر فرسان مالطة الرعبفي سواحل شمال افريقيا لمدة طويلة ، و بذلك لم تكن القرصنة اختصاصا اسلاميا كما يدعي الغرب و مؤرخيه، وعلى كل فان القرصنة بالنسبة للمسلمين هي جهاد بحري تبناه سكان شمال افريقيا عندما تعرضت سواحلهم الى الاعتداءات المسيحية.[1]

لم يكن الجهاد البحري الجزائري منذ نشأته في حوض البحر الابيض المتوسط يهدف الى الاعتداء و النهب لكنه كان رد فعل قام به المسلمون ضد القراصنة المسحيين الذين كانوا قراصنة حقيقين يقمون بنهب الشواطئ الاسلامية تحت ستار الاستمرار في خدمة الصليب ، و كان هدف الجزائريين الجهاد و الدفاع عن وطنهم ، و لم تكن الغاية من الهجمات على السفن الاجنبية الحصول على الغنائم فقط بل الدفاع عن النفس و الذات.

هذا ما جعل الأوروبيين يطلقون وصف القرصنة على الجهاد الذي كانت تقوم به البحرية الجزائرية، و قد اثارت هذه المسالة اهتماما كبيرا في الكتابات الاجنبية المتعلقة بتاريخ الجزائر في القرنين 17 و 18، و قد اقترنت البحرية الجزائرية بأوصاف عدة كاللصوصية ، ووصفت الايالة بوكر القرصنة بمفهومها الشرعي و القانوني و الذي يحدده قانون البحار و العرف الدولي.

نستنتج ان القرصنة التي اتهمت بها الجزائر آنذاك كانت ممارسة عامة شاركت وقامت بها كل الدول البحرية آنذاك و ان سلوك الجزائريين البحري كان معظمه رد فعل على الاعتداءات الاوروبية.[2]

اتخذت الكنيسة من القرصنة البحرية الاسلامية عامة والجزائرية خاصة وسيلة لتوحيد جهود الدول الاوروبية،و تحقيق الوفاق بينها في احلاف مقدسة لرسم خارطة جيوسياسية جديدة لأوروبا ،[3] و تزعمتها بريطانيا العظمى باعتبارها

[1] – شويتام آرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800 – 1830 م) ، ط1 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : الجزائر ، 2010 ، ص : 49

[2] – أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 1519 – 1830 ، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 95 .

[3] – حنفيفي هلايلي : المرجع السابق ، ص 69 .

سيدة البحار، وخصوصا بحكم سيطرتها على جزيرة مالطة ومضيق جبل طارق ، واستخدمت الدول الاوروبية القانون البحري الدولي الجديد الذي يمثل قانونا اوروبيا في اساسه، لتطبيق مخططاتها الرامية الى الغاء دور الجزائر الدولي القائم على ممارسة الجهاد البحري ، فا قرت سياسة التكتل و الوفاق من اجل فرض الهيمنة الاوروبية ، و هو الامر الذي واجهته الجزائر العثمانية من خلال رفع التحدي ومقامته حتى النهاية ، هذا ما جعل الجزائر مهددة من طرف التكتل الاوروبي تحت ذريعة محاربة القرصنة .

واجه المؤرخون المهتمون بالتاريخ الجزائر العثمانية مشكل تعداد الاسرى في الجزائر ، و هذا الاشكال شأنه شأن احصاء السكان ، اذ لا يمكن التسليم بالتقديرات الرقمية المطروحة سواء بخصوص تعداد السكان او بخصوص عدد الاسرى المستخرجة من المصادر الاوروبية ، الا انه في نهاية القرن 16 م و بالضبط في سنة 1578 م عدد الاسرى قرابة 25 الف اسير.[1]

و خلال القرن 17م ارتفع هذا العدد الى 30 الف اسير 11 من بداية القرن 18 م يلاحظ تراجع لأعداد الاسرى في الجزائر فمن 10 الاف سنة 1700م 12 الى 2000 سنة 1738م 13 ثم يتأرجح هذا العدد بين زيادة و نقصان حتى سنة 1830م حيث تتناقص التقديرات بين 500 و 122 اسير.

و من المتفق عليه ان عددهم غير مستقر و غير تابث ، فهو يتزايد و يتناقص من فترة لأخرى تحدده طبيعة علاقات الجزائر بالدول الاوروبية هذا من جهة ، ومدى تفوق اسطولها في عرض البحر الابيض المتوسط من جهة ثانية ، اما الحديث عن جنسيات هؤلاء الاسرى و انتماءاتهم فقد شكلوا فسيفساء داخل المجتمع الجزائري ، حيث كانوا من مختلف الامم و الدول فكان منهم البرتغاليون والاسبان و الفرنسيون و الانجليز و الفنلنديون و الهنغاريون و قد كان بيع و توزيع المسحيين الاسرى يساهم في محو الدولة الجزائرية ، و قد اختلف التسميات التي اطلقت على هؤلاء ، فبينما اعتبرهم الكتابات الاوروبية عبيدا وكانوا في القاموس الجزائري وكامل الايالات العثمانية اسرى حرب.

[1] - Belhamissi (M) , Alger L'Europe et la guerre secréte 1518-1530,Alger , édition Dahlab, 1999 ,p43.

تمتع الاسرى في الجزائر بصفة عامة بحرية نسبية فقد سمح لهم للاحتفال بأعيادهم وممارسة شعائرهم الدينية ، كما خصصت لهم مقبرة خارج باب الوادي لدفن امواتهم الا ان الكتابات الاجنبية قد بالغت في وضف حالة الاسرى المسحيين بإيالات شمال افريقيا عامة والجزائر خاصة بهذا الصدد ينقل لنا الراهب دان وصفا مثرا لحالة الارقاء المسحيين بقوله :.... فليست هذه هي المحن التي يعاني منها المستعبدون المساكين في تلك الوادس، لانهم ايضا يموتون احيانا بالعطش بعد ما يذبلون في هذه الوضعية المؤسفة أياما عديدة ..... ويضيف في موقع اخر.....يدفعونهم دوما الى الافراط في الاشتغال اكثر من الاعتدال حقيقي تتناسب فيه القوة مع التعب بحيث لو لم يخشوا بفقدانهم لمستعبديهم من ضياع المال المستثمر فيهم لتركوهم بكل تأكيد يمتون من شدة الجهد على السماح لهم بأقل قدر من الراحة.[1]

و يلوح الاب دان في كتاباته على حرص البحرية الجزائرية و شغفها في اسر المسحيين ، ثم يبالغ عندما يصف معاملة الجزائريين للأسرى المسيحيين و نستشف ذلك من قوله : ... كلما ساروا عبر البحر يحرصون دوما على وجود ارقاء مسيحيين على متن مراكبهم ، و الذين هم في غالب الاوقات البحارة الذين يقودونها و اللحظة قبل المواجهة يحبسون جميع المسحيين و يكبلون الايدي و الارجل اربعا بقضبان حديدية كبيرة تتدلى منها الاصفاد و هو ما يبدوا لهم وسيلة اكثر يسرا للتخلص من خشية قيام بعض الارقاء بالتمرد عليهم اثناء النزال ، و اذا ما حدث و اصبحوا اسياد السفينة التي هاجموها يأخذون منها كافة المسحيين على الفور.[2]

و قد حدت الكتابات الاجنبية الاخرى حدوى الاب دان و ايدته في طرحه لتحقيق هد ف منشود من وراء ذلك و هو دفع المسحيين لتوحيد جهودهم ضد الجزائر ، ومن بين هذه الكتابات تلك التي ذكرت قيام السلطات المغاربية

[1] - حسن أميلي : " معاملة الأسرى المسيحيين في كتاب بربارية وقراصنتها للأب بيار دان " ، المجلة التاريخية المغاربية . ع 119،تونس ،2005 ، ص184

[2] -حسن أميلي : مرجع سابق ، ص 169 .

بتعذيب الرهبان و قتلهم ،[1] وكان اغلب هذه القصص المبالغ فيها من نسج الخيال و ذلك قصد الوصول الى احد الهدفين وهما :

تشويه الاسلام والمسلمين و قوتهم العسكرية لاستجداء العطف واثارة الحمية الدينية لتكون التبرعات اكثر ودائمة ، الامر الذي جعل الباحثين الأوروبيين الموضوعيين الى حد ما يستنكرون مثل هذا القصص الخرافية وقد فمنذ بعض الباحثين الاجانب هذا الطرح المغرض.[2]

كما قدم وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر حقيقة عن الاسرى المسحيين في الجزائر وبين ظروفهم وحالتهم فيها اذ يقول :.....اكانت سلطات الايالة دائما تحميهم من الاذى ومن سوء معاملة الاهالي ، و انه لمن الانصاف القول بان حالتهم هنا لم تكن أسوأ من اسرى الحرب الذين يقعون في ايدي البلدان المسيحية المتحضرة، و الاشغال التي كان يطلبها الى الرجال القيام بها لم تكون مفرطة المشقة ، و الاسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم كان يسمح لهم بحرية في أي مكان يرغبون فيه.

و الحقيقة ان الاسرى في الجزائر قد عوملوا وفق الاطار العام الذي كفله الدين الاسلامي للأسرى منذ زمن بعيد ، ولم يحيد حكام الجزائر عن هذه القاعدة طوال الحكم العثماني ذلك باعتراف الاسرى المسحيين انفسهم ، والجدير بالملاحظة هو السكوت شبه التام من طرف المصادر العربية عن وضعية الاسرى الجزائريين في السجون الاوروبية .[3]

و كذا وضعية العذاب و التشريد التي كان يتعرض لها الجزائريين خاصة والمسلمين عامة على ايدي قراصنة و لصوص

[1] - ديكوثدي صوريس : تاريخ الشرفاء ، ترجكة محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ، المغرب . 1989 . ص 198

[2]- وليام شالر : مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م . تعريب وتعليق و تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التزيع . الجزائر ، 1982 ،ص100

[3]- Belhamissi (M) , Lescaptifsalgériens et L'europe chrétienne 1518 – 1830 , E.N.A.L, Alger , 1988 , p113.

البحر المالطيين والايطاليين و الاسبان والفرنسيين.[1]

ارتفع عدد الأسرى من جديد بسبب انتعاش نشاط الغزو البحري في عهد الحاج علي آغا و عهد الديات الثلاثة الأوائل، ومن خلال كشف قدمه ألبير ديغولكس بلغ عدد الغنائم سنة(1674 م) ثمانية وثلاثين، وفي سنة(1675م) ثلاثة وثمانين غنيمة، وثمانية وخمسين سنة (1676 م)، وواحد و الاثنين خلال الأشهر الستة الأولى من سنة(1677م).

المطلب الثالث: عوامل ازدهار النشاط البحري الجزائري

اولا: الموقع الاستراتيجي لمدينة الجزائر:

تقع مدينة الجزائر على خط عرض 46° و 36° شمالا وخط طول 33° إلى الشرق من خط غرينتش. وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة على نحر البحر. أسست في العصور العتيقة، وعم اسمها على البلاد التي اتخذتها عاصمة منذ القرن السادس عشر أو ابتداء من العهد العثماني.

لقد كانت مدينة الجزائر في الفترة الأولى من الفتح الإسلامي عبارة عن حاضرة إسلامية [2]ذات سوق تجارية متوسطة الحجم إذ أن ميناؤها جعل لها شيئا من الأهمية، ولم يكن يرتادها الملاحون المسلمون وحدهم بل ظل يرتادها تجار النصارى كذلك ،[3] وهذا راجع إلى موقعها على شاطئ البحر وعلى مقربة من سهل متيجة الغني مما أدى إلى سهولة التجارة في هذه المدينة.[4]

ومن الواضح أن قيمة العاصمة تقدر بما لها من علاقات داخلية وخارجية فلها وجهة تنظر بها لبلادها، ولها وجهة تنظر بها لما هو خارج عن بلادها، وعلى هذا الأساس فإن مدينة الجزائر ترتبط بالأجزاء المختلفة للبلاد التي

[1] – عبد الله حمادي : المرجع السابق ، ص 270

[2] – العربي ايشبودان، مرجع سابق، ص 09

[3] – عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث: الجزائر – المدية– مليانة شركة دار الأمة للنشر والتوزيع 107 الجزائر 2007 ،ص30.

[4] – كورين شوفالييه ،مرجع سابق ، ص 12

تعتبر ظهيرها وتجلب لها الخيرات المتنوعة، وتظهر الوجهة الخارجية أو علاقات المدينة بما هو خارج عن بلادها في أن مدينة الجزائر كانت في العصور الإسلامية تمثل نقطة الصراع بين حكومات دول المغرب العربي.[1]

لتصبح الجزائر في ظرف وجيز فضاء مركزيا لسلطة سياسية تشع على المغرب العربي برمته، غير أن النفوذ المتعاظم لهذه المنطقة أثار مخاوف المسيحيين الذين أصبحت أطماعهم في السيطرة على الجزائر العاصمة اهتمامهم الرئيسي[1].

ولقد أدى هذا السلوك العدواني إلى جعل العاصمة مدينة للجهاد فأصبحت منظومة دفاعها على قدر كبير من الأهمية بحيث صارت المدينة قلعة تنعت "بالجزائر المحروسة". وبالموازاة مع ذلك، فإن القرصنة التي أبلى فيها الجزائريون بلاء حسنا عادت على المدينة بثروات كبيرة انعكست على الفضاءات الاجتماعية وعلى البلد بصفة عامة.[2]

ثانيا :قوة الأسطول البحري:

بلغت البحرية الجزائرية ذروة عظمتها خلال الفترة العثمانية بفضل أسطولها البحري الذي كان مقره مدينة الجزائر[1]، حيث بلغ هذا الأخير ما بين خمس وربع مجموع الأسطول العثماني [3] ، أما في النصف الأول من القرن السابع عشر فقد صار يشكل ما يعادل ثلث أو نصف الأسطول العثماني ، ولعل ما يؤكد على قوة الأسطول الجزائري تطور هياكله و تنوعها ، فمن ناحية العتاد فقد أسست بمدينة الجزائر منشات لصنع السفن والتعدين بها إذ كان هناك مصنع للبوارج الضخمة ، ومصنع مختص بصنع أشكال وأصناف من السفن التي بلغ عددها في بعض الأحيان ب 600 قطعة مختلفة الشكل ومجهزة بالمدافع تجهيزا كاملا.[4]

[1] – عبد القادر حليمي ، مرجع سابق، ص 37

[2] – عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 486.

[3] – المنور مروش، مرجع سابق، ص 232

[4] – العربي ايشبودان مرجع سابق، ص 15

ومن ناحية أخرى فقد عرف الأسطول الجزائري بقوة وشجاعة بحارته الذين أطلق عليهم طائفة رياس البحر، حيث ساهموا بشكل كبير في تدبير حركة الأسطول الجزائري ويقول حمدان خوجة عنهم«.... هؤلاء رجال أذكياء يتكيفون مع الحياة البحرية ومنهم من يستولون على السفينة بعد رحلتهم الأولى وقد كانوا يحاربون بشجاعة وإقدام موقنين بأنهم إنما يستشهدون في سبيل الدين....»

المطلب الرابع: تقديرات حول الأسرى بمدينة الجزائر:

إن عدد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية حسب إحصاءات هايدو كان حوالي 25 الف بضواحي مدينة الجزائر،[1] بينما يخبرنا الأب دان أن هناك حوالي 25 ألف من الرجال وأكثر من 200امرأة من جميع الجنسيات .⅔

أما فونتير دي بارادي فيصرح عن عدد العبيد في مدينة الجزائر ويقدره مابين1800و2000.[2]

بالإضافة إلى ذلك ، يمكن توضيح بعض تقديرات الأسرى في مدينة الجزائر من خلال بعض المصادر الأوروبية المتخصصة خلال القرن 18 و 19 والتي جاءت في أحد دراسات المؤلف حنيفي هلايلي في الجدول التالي :[3]

المصدر	السنة	عدد الاسرى
t.shaw	1738	2000
De gramment	1788	800
Roynal	1816	1648

1- dehaedo fray diégo, op.cit,p41

2- pierre dan op.cit,p31

3- venture de paradis, alger au XVII siele édité par e.fagnan alger.1898.p16

p.rozet	1830	122

الجدول 01: تقديرات عن الأسرى في مدينة الجزائر من مصادر مختلفة.

يشير الجدول إلى تقديرات عدد الأسرى في مدينة الجزائر من مصادر مختلفة خلال فترات زمنية متباينة. وفقًا لمصدر T. Shaw في عام 1738، بلغ عدد الأسرى حوالي 2000، بينما يقدّر De Grammont في عام 1788 العدد بـ 800 أسير. في عام 1816، يقدّر Roynal العدد بـ 1648، مما يعكس ارتفاعًا نسبيًا مقارنة بعام 1788، بينما يسجل P. Rozet في عام 1830 انخفاضًا ملحوظًا إلى 122 أسيرًا. هذه التقديرات تُظهر تباينًا في أعداد الأسرى على مر الزمن، مما قد يعكس تغييرات في الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، مثل تقلّص عمليات القرصنة أو تغير السياسات المتعلقة بالأسر.

وبهذا الصدد يمكن تقسيم تطور عدد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية إلى عدة مراحل حسب الإحصاءات المطروحة على النحو التالي:[1]

1-مرحلة النمو السريع لعدد الأسرى (1578-1660):

و هي الفترة الممتدة من نهاية القرن السادس عشر إلى غاية العشرية الثالثة من القرن السابع عشر ، حيث كانت مدينة الجزائر في هذه المرحلة تعج بالأسرى ، وكان ذلك نتيجة استمرار هجمات القراصنة الجزائريين على الجهة الغربية لأوروبا والواجهة الأطلسية أيضا وقد ساعدتها في ذلك عدة ظروف لعل أبرزها قوة الأسطول الجزائري في عرض البحر بالإضافة إلى النشاط البحري المتواصل حيث كان أسطول الغزو الجزائري يخرج ثلاث مرات في السنة ، دون أن ننسى براعة البحارة الجزائريين و الكفاءة العالية لرياس البحر و يمكن القول عن هذه المرحلة أنها

[1] - حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني مدار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر2008ص 72

ساهمت بدورها في إنعاش اقتصاد الإيالة الجزائرية بصفة عامة والعاصمة على وجه الخصوص ، إذ يمكن توضيح ذلك في الجدول التالي:[1]

السنوات	عدد الاسرى
1578–1581	25000
1587	28000
1598	15000
1621–1626	16000
1625	25000
1634	25000
1640	25000
1644	30/40000
1660	35000

الجدول 02 :تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر بين 1660–1578

يشير جدول رقم 02 إلى تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر بين 1578 و1660، حيث تظهر الأرقام تزايدًا ملحوظًا في عدد الأسرى على مر السنوات. في فترة 1578-1581 بلغ العدد 25,000 أسير، واستمر في التذبذب مع انخفاضه إلى 15,000 في عام 1598، ثم ارتفع مجددًا إلى 25,000 في أعوام 1625

[1]- Federico cresti, la population d'alger et son évolution durant l'époqueottmane an étatdes connaissance controverse, in arabica, N°TII, 2005. p480

و1634 و1640. يُلاحظ أن العدد بلغ ذروته بين عامي 1644 و1660، حيث تراوح بين 30,000 و40,000 أسير، وصولاً إلى 35,000 في عام 1660.

هذا التزايد الكبير في أعداد الأسرى يمكن تفسيره بتكثيف أنشطة القرصنة البحرية والحملات العسكرية في تلك الفترة، والتي كانت مصدرًا رئيسيًا للأسرى في الجزائر، بالإضافة إلى ازدياد الصراعات السياسية والاقتصادية في المنطقة.

2 –مرحلة تراجع عدد الأسرى(1662–1756):

من الراجح أن عدد الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر بدأ يتناقص مع نهاية القرن السابع عشر بسبب تدهور الأسطول البحري الجزائري وكثرة الوباء الذي خلف 1671 وفيات بمدينة الجزائر وخمس السكان في ضواحي المدينة ، هذا بالإضافة إلى الحملات[1] الأوروبية على مدينة الجزائر طوال هذه الفترة بداية من الحملات الهولندية (1662-1624-16201623) والحملات الانجليزية (1672-1655-1620) والحملات الفرنسية(1627-1688-1683-1682-1664) ولعل الجدول التالي يوضح تراجع عدد الأسرى في هذه الفترة[2].

السنة	عدد الاسرى
1662	12000
1665	40000
1674	10/12000

[1]-عائشة غطاس ،الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني ،مجلة الثقافة ، 76 ، ص 123 ، 130

[2] – يحي بوعزيز ،علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا 1500-1830 ،دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2008، ص 18

18000	**1676**
20000	**1678**
35/4000	**1683**
35000	**1684**
4000	**1693**
1600	**1698**
2600	**1698**
8000/10000	**1700**
3000	**1701**
4000	**1719**
5000	**1729**

الجدول 03: تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر1729-1662

يشير جدول إلى تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1662 إلى 1729، حيث نلاحظ تقلبات كبيرة في أعداد الأسرى عبر السنوات. في عام 1662، بلغ عدد الأسرى 12,000، ليصل إلى 40,000 في عام 1665، وهو أعلى عدد مسجل في تلك الفترة. بعد ذلك، شهدت الأعداد انخفاضات ملحوظة وتذبذبات كبيرة، حيث تراوح العدد في بعض السنوات بين 10,000 و12,000 (1674)، وبلغ 18,000 في 1676، ثم عاد إلى الانخفاض تدريجيًا ليصل إلى 1,600 في عام 1698،

قبل أن يرتفع مجددًا في عام 1700 إلى ما بين 8,000 و10,000. في السنوات الأخيرة من الجدول، تتراوح الأعداد بين 3,000 و5,000 أسير.

هذه التغيرات تعكس اضطرابات وتفاوتات كبيرة في نشاط القرصنة والظروف السياسية في تلك الفترة، مع احتمال تأثرها بالحملات العسكرية والمفاوضات التي أثرت على حجم الأسرى الذين يتم جلبهم إلى الجزائر.

كما يمكن توضيح عدد الأسرى خلال الفترة الممتدة من 1736 الى 1756من خلال دفتر التشريفات لألبرت ديفو في الجدول التالي :

السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الاسرى
1736	1063	1747	821
1737	931	1748	1003
1738	705	1749	950
1739	569	1750	1063
1740	412	1751	1773
1741	499	1752	609
1742	530	1753	632
1743	793	1754	591
1744	741	1755	561
1745	741	1756	694

1746	783	/	/

الجدول 04 :تعداد الأسرى بمدينة الجزائر مابين(1736–1756).[1]

يشير جدول إلى تعداد الأسرى في مدينة الجزائر بين 1736 و1756، حيث يتضح تذبذب واضح في أعداد الأسرى خلال هذه الفترة. في عام 1736، كان عدد الأسرى 1063، ثم انخفض تدريجيًا في السنوات التالية ليصل إلى 412 في عام 1740، وهو أقل عدد مسجل في هذه الفترة. بعد ذلك، بدأ العدد في الزيادة مجددًا ليصل إلى 1773 في عام 1751، وهو الأعلى في الجدول. من عام 1752 إلى 1756، استمرت الأعداد في التقلب، حيث شهدت انخفاضًا نسبيًا وصل إلى 561 في 1755، ثم عادت لترتفع قليلاً إلى 694 في 1756.

هذا التذبذب في الأعداد يمكن تفسيره بالتغيرات في النشاط البحري والصراعات في البحر المتوسط، وكذلك التغيرات السياسية والتحالفات التي ربما أثرت على وتيرة عمليات الأسر، إضافة إلى الحملات العسكرية التي جلبت مزيدًا من الأسرى في بعض الفترات.

3– مرحلة انتعاش عدد الأسرى (1757–1814):

ارتفع عدد الأسرى في مدينة الجزائر خلال هذه الفترة بالنسبة للمرحلة السابقة ، ولعل من الأسباب التي دفعت إلى ارتفاع نسبة الأسرى في المنطقة دخول الولايات المتحدة إلى البحر الأبيض المتوسط كتجارة نامية تغري بحارة الجزائر خاصة وأنها لم تعقد أي معاهدة مع الجزائر ففي سنة 1791 وحدها تمكن الجزائريون من اسر 11

[1]- Albert Devoulx, Tachrifat recueil de notes historiques sur la dministration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, 1852,p86

سفينة أمريكية تحمل 109 بحارا، وعليه فإن النشاط البحري الجزائري بدأ ينشط مرة أخرى باستخدام أساليب جديدة ، وللتوضيح أكثر قمت بإعداد الجدول التالي من خلال دفتر التشريفات[1]

السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الاسرى
1757	1561	1772	1190	1787	572	1802	772
1758	1571	1773	1326	1788	574	1803	946
1759	1753	1774	1376	1789	659	1804	901
1760	1941	1775	1337	1790	715	1805	1022
1761	1993	1776	1468	1791	762	1806	1228
1762	1902	1777	1501	1792	832	1807	1267
1763	1900	1778	1369	1793	755	1808	1422
1764	1920	1779	1481	1794	779	1809	1545
1765	1904	1780	1494	1795	730	1810	1345
1766	2004	1781	1586	1796	659	1811	1345
1767	2062	1782	1532	1797	546	1812	1475
1768	1131	1783	1507	1798	1168	1813	1656
1769	1226	1784	1520	1799	1019	1814	1525
1770	1323	1785	1372	1800	860	/	/
1771	1320	1786	1426	1801	545	/	/

[1]- albert devoulx,op,cit,p86

الجدول 05 :أعداد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة (1814–1757).

يظهر جدول الى تعداد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة من 1757 إلى 1814، حيث يشير إلى تقلبات كبيرة في أعداد الأسرى على مدى أكثر من 50 عامًا. في بداية الفترة، كان عدد الأسرى مرتفعًا، حيث بلغ 1,561 أسيرًا في عام 1757، واستمر العدد في الزيادة تدريجيًا ليصل إلى 2,062 في عام 1767. ثم شهد العدد انخفاضًا ملحوظًا في عام 1768 ليصل إلى 1,131 أسيرًا، قبل أن يعود إلى الارتفاع في السنوات التالية.

في الفترة الممتدة من 1770 حتى 1787، تراوح عدد الأسرى بين 1,323 و572، مع تذبذبات كبيرة من عام لآخر. خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر (1790–1799)، كانت الأعداد تتراوح بين 546 و1,168 أسيرًا، بينما شهدت السنوات الأولى من القرن التاسع عشر زيادة ملحوظة، حيث ارتفع العدد من 772 أسيرًا في عام 1802 إلى ذروته البالغة 1,656 في عام 1813.

يمكن تفسير هذه التغيرات في أعداد الأسرى بتأثر الجزائر بالعوامل الخارجية مثل الحروب والنزاعات البحرية، وكذلك التغيرات في سياسات القرصنة والعلاقات الدولية.

4 –مرحلة انهيار عدد الأسرى (1830–1815):

لقد تميزت هذه المرحلة بتراجع عدد الأسرى بشكل كبير وهذا راجع إلى إلغاء الأسر بدرجة أولى ففي نهاية سنة 1814 عقد مؤتمر فيينا الذي ضم جميع الدول المتحضرة في القارة الأوروبية وهناك أرسيت قواعد واسعة لتعالج مسائل ذات طابع عام مثل مسالة تحريم الرق وتجارة العبيد وكذا تحريم القرصنة نهائيا.[1]

[1] – وليام شائر ،مذكرات وليام شائر فتصل أمريكا في الجزائر (1816–1824) ،تح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ص 145.

بالإضافة إلى الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر التي ساهمت بدورها فيوضع حد لذلك الانتعاش الذي كان يشهد عدد الأسرى في الفترة السابقة وابرز دليل على ذلك حملة اللورد اكسموث1816 التي نتج عنها تحطيم اغلب السفن وإطلاق ما تبقى من الأسرى بدون مقابل وهم 1606اسير .[1]

كما أدى تدمير السفن الجزائرية المشاركة في معركة نافرين البحرية وفرض الحصار البحري الفرنسي سنة 1827على السواحل الجزائرية إلى تدهور أرباح القرصنة ثم انقراض نشاطها .

تجدر الإشارة أن الأسرى في مدينة الجزائر كانوا من جنسيات مختلفة حيث كان فيهم من روسيا وروما واليونان والجزر الايطالية وفرنسا واسبانيا وحتى أمريكا..ويمكن إيضاح ذلك من خلال إحصاء قمت به بالاعتماد على سجل التشريفات لديف و خلال الفترة 1816-1774 في الجدول التالي

الجنسيات	عدد الاسرى
الاسبان	5201
البرتغال	1351
فرنسا	1934
النمسا	470
اليونان	940
روما	460
مالطا	113
نابولي	3126
صقلية	1184

[1] - ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ،ص 114

كوستريكا	105
روسيا	18
امريكا	100
هولندا	10
سارس	177
طبرقة	86
جنوة	314
بالما	18

الجدول06 :توزيع الأسرى حسب الجنسيات في مدينة الجزائر خلال الفترة 1774–1816

يشير الجدول إلى توزيع الأسرى حسب الجنسيات في مدينة الجزائر خلال الفترة 1774–1816، حيث يظهر تنوع واسع في جنسيات الأسرى. يحتل الإسبان الصدارة بـ 5,201 أسير، يليهم أسرى من نابولي (3,126) ثم فرنسا (1,934)، بينما تأتي البرتغال وصقلية في المراتب التالية بـ 1,351 و1,184 أسيرًا على التوالي. هناك جنسيات أخرى بأعداد أقل مثل النمسا (470) واليونان (940)، بينما تسجل روسيا وأمريكا وهولندا أعدادًا ضئيلة للغاية، مثل 18 أسيرًا روسيًا و10 هولنديين.

هذا التوزيع يعكس مدى توسع عمليات الأسر البحري التي شملت جنسيات من مختلف أنحاء أوروبا وحتى أمريكا، ويظهر كذلك قوة الجزائر البحرية في تلك الفترة وتأثيرها على الدول الأوروبية وغيرها.

المبحث الثاني: بعض مظاهر حياة الأسرى الأوربيون:

في هذا المبحث، سنستعرض بعض مظاهر حياة هؤلاء الأسرى، مركزين على جوانب الحياة الصحية والاجتماعية. سنبدأ بالوضع الصحي للأسرى، حيث سنرى كيف تم توفير الرعاية الصحية لهم، وما هي المؤسسات التي أُنشئت لهذا الغرض.

ثم ننتقل إلى الحياة الاجتماعية، حيث سنتناول كيفية بيع الأسرى، وأوضاعهم في سوق النخاسة، وكيف كانت معاملتهم في المجتمع الجزائري.

المطلب الأول: الوضع الصحي للأسرى الأوربيين بالجزائر:

حظي الأسرى الأوروبيون باهتمام كبير من قبل دولهم، وتمثل ذلك من خلال إقامة المستشفيات التي كانت تقدم لهم الرعاية الصحية، كان قساوسة الفداء يحرصون على وجود مستشفيات وصيدليات في السجون أو قريبة منها حيث يجد الأسير المريض رعايةأفضل[1] ومن المستشفيات التي أسسها رجال الدين بمدينة الجزائر هي كالتالي:

- أسس القديس الأب سبستيان دي بور (Sebastien Duport) مستشفى سنة (1551م) وكان أول مستشفى مسيحي بالجزائر.

- قام الأب برنارد دي مونروي (Bernard de Monroy) بتأسيس مستشفى يدعى تري سانت ترنيتي (Tree - Sainte Trinite) بالقرب من تبرئة البايلك بشارع باب عزون[2] .

[1] وولف جون بايست المرجع السابق، ص: 233

[2]-Berbrugger, Charte des Hôpitaux chrétienne D'Alger en 1694, R.A.F, P:134

– أسس الأب كابسان (Pere Capucin) عام 1575م أهم مستشفى بمدينة الجزائر وذلك بمساعدة مالية من طرف دون خوان دوتريش و كان موقع هذا المشفى خارج باب الواد[1].

– المؤسسات العلاجية التي أنشأها الأب بيدرو قاريدو (Pedro Garido) في سجون الجزائر لفائدة الأسرى، حيث يرى بر بروجر (Berbeugger) أن الفضل في إقامة المستشفيات يعود إلى قاريدو الذي عمل على جمع و توفير المال من دخله الخاص لبناء المستشفيات، وكان عددها خمسة، اثنين منها في سجن الباشا والثالث في سجن الديوانة والرابع في سجن شلبي، أما الخامس فيدعى مستشفى سانتا كتلينا (Senta Catalina) أسس عام (1662م) .

ولما أصبحت هذه المؤسسات العلاجية غير كافية للتكفل بالمرضى خاصة أثناء فتراتالأوبئة الفتاكة، قام رجال الدين المسيحيين بفتح مؤسسات إضافية مثلما فعل الأب لوفاشي(Vacher Pere le)الذي حول منزله إلى مستوصف خلال وباء عام (1682م) [2].

–المستشفى اللازاي (Thopital lazariste) الفرنسي، الذي خصص له الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (1643_1610م) إعانات مالية كبيرة[3].

وبما أن الوثيقة التي قدمها لنا بربروجر تعد أهم الوثائق التي تناولت موضوع المستشفيات المسيحية بالجزائر سنعرف أول مستشفى مسيحي أقيم بالجزائر(**المستشفى الاسباني بالجزائر**).

---

[1]– القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر اثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1871–1518م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د: ناصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2004، ص 251

[2]–القشاعي فلة موساوي، المرجع السابق، ص : 253

[3]–شمون حفيظة مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم المعيشية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كمال فيلالي جامعة قسنطينة، قسم التاريخ، 2007، ص 77.

استنادا إلى الوثيقة التي أوردها " بربروجر" دائما، فإن هذا المبني تأسس سنة (1551م) على يد الأب الاسباني سبستيان دي بور)[1] (Pere Sebastien Duport) وهو من أصحاب الثالوث المقدس من منطقة برغوس" (Burgvs) الاسبانية ، جاء إلى الجزائر سنة (1546م) للتفاوض حول اقتداء بعض الأسرى المسيحيين أسس أسقفية في سجن الملك ووعد بأنه بمجرد العودة مرة أخرى إلى الجزائر سوف يؤسس مستشفى المعالجة المصابين بالحمى والجراح والعاهات من الأسرى حقق الأب سبستيان دي بور هذه الرغبة سنة (1551م)، حيث تحصل على تصريح من الباشا يسمح له بإقامة هذا المستشفى بالسجن الكبير. إن كلمة مستشفى المستعملة للتعبير عن هذا المبنى فيها نوع من المبالغة لدلالتها على الفخامة، لأنه في الواقع لم يكن سوى مستوصف صغير وفقير لا يحتوي إلا على بعض الأفرشة الرثة المحشية بأوراق الذرة الصفراء، وهذا رغم المجهودات التي بذلها الأب سباستيان في تجهيزه بمواد التخدير والأدوية طيلة خمس سنوات قبل أن يتركه ويتوجه إلى اسبانيا باستدعاء مين الملك الأسلم فا لكان.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية للأسرى

قبل التوجه إلى دراسة الحالة الاجتماعية للأسرى بمدينة الجزائر، يجب أن نقف أمام أمر مهم وهو عملية بيع الأسرى ، فهؤلاء عند وصولهم إلى ميناء مدينة الجزائر يأخذوا إلى قصر الداي ليختار منهم الأكفاء والبعض الآخر يصرف إلى سوق الأسرى ليباع للأهالي ومن لم يباع منهم يصبح من نصيب الدولة ، وهنا سأحاول تقديم صورة عن أوضاع الأسرى في سوق النخاسة في مدينة الجزائر .

[1]-Berbrugger, op.cit, p:136

أولا: أوضاع الأسرى في سوق النخاسة بمدينة الجزائر :

بعد إتمام عملية الأسر ووصول البحارة الجزائريين إلى ميناء المدينة يأخذ هؤلاء الغنائم البحرية وعلى رأسهم الأسرى إلى قصر الداي ليأخذ نصيبه من هذه الأرباح حيث يختار الداي ثمانية من العبيد لخدمته في القصر أما الباقي فيتم إرسالهم إلى سوق العبيد أين تتم عملية بيع الأسرى.

وفي هذا السياق ، فإن السوق المخصص لبيع الأسرى يطلق عليه اسم البادستان ويقع هذا السوق في وسط مدينة الجزائر العاصمة [1]، حيث يكون شكله مربعا بأربع أروقة و يشرف على سوق البادستان رجل شرير حسب وصف الأب دان له وهو الدوق.

ويعود تاريخ إنشاء هذا السوق إلى ما قبل سنة 1573 ، إذ أسسه الباشا حسن على أنقاض فندق صغير ، وارتبط تأسيسه بنشاط الغزو البحري فقد كان مخصصا لبيع كل ما يتم جلبه من طرف القراصنة بعد رجوعهم من الغزو البحري من غنائم وهي الأسرى والبضائع.[2]

تجدر الإشارة إلى انه قبل عملية البيع في السوق تتم عملية المعاينة التي غالبا ما تتم في الصباح حيث تفحص أسنان الأسرى للتعرف على مدى قدرتهم على أكل البسكويت على متن السفن الحربية ثم تفحص أيديهم للتأكد من مدى نعومتها و نظافتها فإذا كانت يدا الأسير ناعمتين فهذا يدل على انه رجل غني يعيش عيشة هنيئة ولا يمارس أشغالا شاقة، أما إذا كانت يداه خشنتين فهذا يدل على انتمائه إلى الطبقة العامة وممارسته لأشغال مضنية ، كما تفحص عضلاتهم وتختبر قوامهم الجسدية عن طريق جعلهم يجرون لمسافات ليست بالطويلة.

[1]-عبد الله محمد الشويهد ، مصدر سابق، ص 39.

-كورين شوفالييه ، مرجع سابق ، ص 54

وآخر مراحل المعاينة هي طرح الأسئلة على الأسير لمعرفة اسمه ووظيفته التي كان يمارسها قبل وقوعه في الأسر والبلاد التي كان قاطنا بها ولكن الكثير من الأسرى يكذبون بشان بياناتهم بغرض التقليل من أهميتهم الاجتماعية حتى إذا ما جاءت منظمات الافتداء لشراء حرياتهم لا يطالبها مالكوهم بمبالغ مالية باهظة.

وبعد الانتهاء من عملية المعاينة التي تتم طيلة الفترة الصباحية فان عملية البيع تجرى بعد صلاة الظهر حيث يصف الأب دان هذه الحالة بأنها في منتهى القسوة إذ يضرب الأسرى بالعصا من طرف السماسرة الذين يدعون الناس بدورهم لشراء الأسرى عن طريق نداء الأهالي بصوت عال عن جودة ذلك العبد و سعره وهكذا يتم المزاد ويسل العبد لمالكه بعد دفع المال فورا و نقدا ليتصرف به كما يريد [1]..

وقد قدرت أسعار بيع الأسرى في النصف الثاني من القرن السابع عشر كالاتي [2]:

السنوات	1656م	1663–1664	1665–1666	1696–1697	1699–1700
سعر الاسير	مابين 65 الى 397 قرش اشبيلي	ما بين 38 الى 172 قرش اشبيلي	مابين 100 الى 255 قرش اشبيلي	مابين 102 الى 324 قرش اشبيلي	**مابين 110 لى 496 قرش اشبيلي**

الجدول 07 : اسعار الاسرى خلال القرن التاسع عشر

[1]-laugier de tassy, op.cit, p274.

[2]-المنور مروش دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة الأسعار والمداخيل مدار القصبة للنشر، ج 1، الجزائر، 2009 ص30

تشير بيانات الجدول إلى تباين ملحوظ في أسعار الأسرى خلال القرن السابع عشر (1700-1656م). في فترة 1700-1699، تراوحت الأسعار بين 110 و496 قرشًا إشبيليًا، بينما في 1656م كانت الأسعار أقل، حيث تراوحت بين 65 و397 قرشًا إشبيليًا.

هذا التباين قد يعكس تأثير عوامل اقتصادية مثل التضخم، العرض والطلب، أو الظروف السياسية والاجتماعية التي أثرت على السوق في تلك الفترة. من المحتمل أن تكون هناك أحداث تاريخية، مثل الحروب أو الأزمات الاقتصادية، التي ساهمت في زيادة أو انخفاض قيمة الأسرى عبر هذه الفترات

ثانيا: معاملة الأسرى :

كانت الحالة الاجتماعية التي يتمتع بها الأسير في بلاده هي اكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التي سيحظى بها في الجزائر حيث كان وضعهم يختلف من أسيرا لأخر[1] .

إلا أن وضعهم عموما ، كان أحسن بكثير من وضع الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية حيث عمدت سلطات المدينة على حمايتهم من الأذى وسوء معاملة الأهالي فالأسيرات مثلا كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن [2]، والدليل على ذلك ان كثير من النساء تخلين عن دينهن وتزوجن مالكيهن كما فعلت الشابة الايطالية "ماريا دي غايتانو" التي تزوجت خير الدين حين كان قريبا من الخمسين من عمره[3]

أما الرجال فلم تكن الأشغال التي يطلب منهم القيام بها مفرطة المشقة هذا وقد تركت لهم حرية الخروج والتنقل خاصة الأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم. [4]

[1]-جون (ب) وولف، الجزائر وأوروبا 1830-1500 تعروتع : ابو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر2009 ص 212

[2]-وليام شالر مصدر سابق ، ص 99.

[3]-جون (ب) وولف، مرجع سابق، ص 288

[4]-وليام شالر مصدر سابق ، ص 99

خلاصة الفصل

يمكن القول إن الجهاد البحري الجزائري لم يكن مجرد نشاط قرصاني، بل كان ردًا على الاعتداءات المستمرة من قبل الدول الأوروبية، وخاصة الإسبان والبرتغال. كان هذا النشاط جزءًا من جهود الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وقد أدى إلى انتعاش نشاط القرصنة وزيادة عدد الأسرى الأوروبيين في الجزائر.

من خلال دراسة العوامل التي ساهمت في ازدهار النشاط البحري الجزائري، وخاصة الموقع الاستراتيجي لمدينة الجزائر وقوة الأسطول البحري الجزائري، تبين أن الجزائر كانت قوة بحرية مهمة في البحر المتوسط. كما تبين أن تقديرات عدد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية تغيرت بشكل كبير بمرور الزمن، مع ارتفاع وانخفاض عدد الأسرى بناءً على الظروف السياسية والعسكرية في المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، تبين أن حياة الأسرى الأوروبيين في الجزائر كانت تختلف بناءً على جنسياتهم ووضعهم الاجتماعي قبل الأسر. ومع ذلك، كانت معاملة الأسرى عمومًا أفضل من معاملة الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية، حيث تم حمايتهم من الأذى وسوء المعاملة من قبل الأهالي.

الفصل الثاني: تأثير قضية الأسر في العلاقات الجزائرية الأوربيةمابين1815/1671

المبحث الاول: تأثير قضية الأسر في العلاقة مع فرنسا

المبحث الثاني: تأثير قضية الأسرى في العلاقات بين الجزائر و إسبانيا

تمهيد

تشكل قضية الأسرى إحدى القضايا المحورية التي أثرت بعمق على العلاقات الدولية خلال الفترة الممتدة من 1671 إلى 1815، في هذا الفصل، سنستعرض تأثير قضية الأسرى على العلاقات بين الجزائر وكل من فرنسا وإسبانيا، مسلطين الضوء على كيفية توتر هذه العلاقات نتيجة لأزمات الأسرى.

سنتناول كيف أن قضية الأسرى ساهمت في تحديد ملامح العلاقات بين الجزائر وهذه الدول الأوروبية، موضحين كيف كانت الضغوط المتبادلة بشأن إطلاق سراح الأسرى تؤثر على سياسات الدول وتشكيلاتها العسكرية والدبلوماسية. سنقوم كذلك بتحليل المعاهدات التي تم إبرامها في هذا السياق وكيف أنها عكست تطورات العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية.

المبحث الاول: تأثير قضية الأسر في العلاقة مع فرنسا

في هذا المبحث، سنتناول تأثير قضية الأسر في العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد عام 1666، مركّزين على المحطات التاريخية الأساسية التي شهدت توترات بين البلدين نتيجة هذه القضية. سنقسم المبحث إلى مطلبين رئيسيين:

- المطلب الأول: توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد عام 1666 بسبب قضية الأسرى، بدءًا من إلغاء المعاهدة الجزائرية الفرنسية وما نتج عن ذلك من أزمات دبلوماسية.
- المطلب الثاني: الجهود الدبلوماسية الفرنسية لاستعادة الأسرى، بما في ذلك بعثات السلام مثل بعثة هاي في عام 1681 وما تلاها من مفاوضات حول تبادل الأسرى.

المطلب الأول: توتر العلاقات الجزائرية وقضية الأسرى بعد 1666

مع فرنسا تتميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل عهد الدايات بالهدوء والسلم، حيث تم توقيع معاهدة سنة 1666م مما سمح باستقرار الأمور بين الطرفين ، الا ان هذا التحالف بين الطرفين لم يدم طويلا ، فقد بدأت العلاقات تتوتر منذ سنة 1672 وكان الاسرى احد مسائل التي تحكمت في العلاقات بين الطرفين خلال هذه الفترة

ففي ولاية الداي الحاج محمد التريكي و هو اول دايات الجزائر قام بإلغاء معاهدة عام 1661م وكانت مشكلة الاسرى وراء هذا الصراع الجديد، وجاءت المخالفة في هذه المرة من طرف فرنسا،فقد وقع سبعة من الجزائريين في احد أبناء مرسيليا ن رغم ان الجزائر عرضت فدائهم الا ان الحكومة باريس ارادت ان تساوم بهذه المناسبة على تعديل معاهدة 1666م و ذلك بالنص على عدم استرقاق الاسرى الفرنسيين في حالة ما اذا اخذوا من سفن غير فرنسية ، مع ملاحظة ان الفرنسيين كانوا اذا أرادوا القرصنة تستروا لها تحت اعلام دول أخرى طالت المفاوضات بين الطرفين حول موضوع الاسرى ، و اقترحت فرنسا اثناء هذه المحادثات بان تتعهد بالجزائر بعدم تزويد قراصنة بلدة سلا المؤن او شراء مسلوباتهم .

بقيت المحادثات على ما هي عليه ، ومما زاد الامر سوآءا هو كثرة تصرفات فرنسا التي دلت على عدم احترامها للمعاهدة ، وهذا ما سنتناوله من خلال قضية هروب تبادل و تبادل الاسرى.[1]

ان الرسائل التي تم تبادلها بين الجزائر و فرنسا متضمنة قضايا الاسرى، تبرز لنا مدى أهمية الاسرى و تأثيرهم في العلاقات بين الطرفين فقي الرسالة التي وجهها الداي الحاج محمد الى لويس الرابع عشر يوم 02محرم1085هـ / 23 سبتمبر1674 م ، عالجت قضية هروب الاسرى و لجوئهم الى قوارب تابع لفرنسا ، ومما جاء فيها :.... إن سفينتكم عندما تقصد جميع ميناء الجزائر للحصول على الماء و البسكويت و المواد المعيشية الأخرى التي هي في حاجة اليها ،و عندما تتهيأ للإبحار تستقل على متنها أقنانا تابعين لخواص الذين يلجئون اليها بواسطة الزوارق او عن طريق السياحة فتحملهم معها ، و سادة هؤلاء الاسرى الفارين يأتون الينا للتشكي الى درجة اقلاقنا وهو ما لا نستطيع تحمله، يجب ان تمنعوا عن اخدي اسير من هذه المدينة عندما يرسون عندها.[2]

ان هروب الاسرى كان نتيجة للحرية التي منحتها الجزائر ولهؤلاء في التنقل والتنزه، فخارج أوقات عملهم كانوا احرار يذهبون حيثما شاءوا ويعودون متى أرادوا، فاستغل الفرنسيون هذا الوضع ونظمه شبكة متخصصة في تهريب الاسرى.

[3]

و الظاهر ان مثل هذه الحوادث قد تكررت قبل ان تأخذ موقفا جادا من قبل حكومة الداي ، ففي البداية اعتبرها مجرد حوادث فردية ، و لكن عندما تكررت و أصبحت سفن الدولة الفرنسية نفسها هي التي تقوم بهذه العملية و تبين بان القنصل الفرنسي نفسه كان وراء عمليات التهريب واخدت المسألة بعدا سياسيا[4] و في الرابع عشر من سبتمبر عام

---

[1]- Belhamissi (Moulay) , Mariene et marins D'Alger 1518-1830 , T3, Alger , Bibliothéque Nationale Algérie , 1996,p93

[2]– بليل رحمونة : دور العمل البحري في إقتصاد الايالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 2 ، دار الاصول للطباعة و النشر سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2010 ، ص19 .

[3]- Kadache (Mahfoud) , L'Algérie durant la période Ottomane , OPU, Alger , 1991 , p18

1673 م تم تهريب عشرون 20 اسير على متن قارب القنصل داميرس ،وعلى اثرها قام الداي الحاج محمد ببعث السيد بورديو M.dubourdieu الى فرنسا وطلب منه عدم الرجوع الا ومعه الاسرى الفارين ، الا ان قائد العمارة البحرية الفرنسية رفض نزول المبعوث من على متن السفينة ،فتعجب الداي على هذا التصرف واستدعى القس لوفاشي père le vacher وشرح له تصرفات حكومته التي من شأنها ان تؤثر على العلاقات بين البلدين.

بينت رد فعل الجزائر الى غاية هذه السنة ان الجزائر كانت تعمل على الحفاظ على السلام بينها وبين فرنسا وعلى عدم اختراق معاهدة 1666م، وان التحالف الفرنسي الجزائري لم يدم طويلا ، فتكرار مثل هذه الحوادث من قبل فرنسا كان ينذر بحرب وشيكة ،وتعدت تصرفات فرنسا و على ذلك الى درجة ان الفرنسيين كانوا يبحرون على متن سفن معادية للجزائر، ففي نفس الرسالة التي وجهها الداي محمد الحاج الى لويس الرابع عشر قال له فيها ما يلي : ...اننا نعلمكم بان رعياكم يبحرون بسفن تابعة للقرصنة و لجؤنا للبرتغال و اسبانيا و هولندا ومالطا ، فإذا وجدناهم على سفن اعدائنا سنأسرهم لانهم يقاتلون ضد رجالنا فيجرحون و يقتلون منهم ، و عندما نجدهم ،في هذه الحالة فأننا لن نرحمهم و سنسترقهم و سوف لن نعتبرهم رعاياكم ...واننا نعلن لكم باننا سنأسر كل الأشخاص الذين نجدهم على هذه الحالة .....وان موقف الجزائر من هذا التصرف لم يأخذ ردا من قبل حكومة فرنسا، اذ يضيف الداي قائلا: ... لقد كتبنا رسالتين او ثلاثة و لم نحصل على أي رد ، لذلك نطلب منكم بمجرد وصول هذه الرسالة اليكم ان تخبرنا بسرعة عن نوأيكم حول هذه المسالة بسرعة لنتخدد احتياطنا ونعرف اذا كنتم لا تزالون في سلم معنا، وسبيل تدعيمه هو ان تمنعوا على رعياكم نقل اكثر من ثلاث مسيحيين من غير أصدقائنا و ان لا يخدموا في سفن اعدائنا لان هذا العمل قد يؤدي الى حدوث قطيعة و إصرار الجزائر حول هذه المسالة قد جعل فرنسا تتخذ موقفا رسميا من ذلك ، اذا قامت ببعث هيئة مكلفة بالحفاظ على السلام بين الطرفين وتبادل الاسرى.[1]

[1]- فاطمة الزهراء سيدهم :" موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر " ، مجلة كان التاريخية ، ع13 ، دار الكتب و الوثائق القومية المصرية ، مصر ، 2011، ص 27

المطلب الثاني: بعثة هاي جانفي 1681م :

حضر الى الجزائر وفد مكون من هايي ودوفيريل من اجل ابرام معاهدة سلم و تحرير اسرى الفرنسين خلال هذه المحادثات اشترطت الجزائر على ان يتم تحرير الاسرى الفرنسيين بمبادلتهم بأسرى الجزائريين و نجاح هذه المفاوضات كان مرتكزا على هذا الامر.[1]

و لقد زود هاي بمعلومات مسبقا من قبل الحكومة الفرنسية مفادها المطالبة بإطلاق سراح كل الاسرى الفرنسيين مقابل اطلاق سراح سبعة اسرى جزائريين كانوا قد اخذوا من على ظهر مركب تجاري من طرف قرصان فرنسي ، وتنص هذه التعليمات أيضا على انه يمكن للمبعوثين في النهاية ان يقبلا باستبدال اسير بأسير ، و ليس سبعة اسرى مقابل خمسة وعشرون اسير .وحرصا على اظهار نوايا الجزائر الحسنة ، قرر الداي و الديوان اطلاق 25 اسيرا فرنسيا مقابل وعد من المبعوث الفرنسي بقيام حكومته بإرسال عدد مماثل من الاسرى الجزائريين. [2]

وبمجرد وصول هؤلاء مدينة مارسيليا، انتظرت الجزائر وصول اسراها لكن دون جدوى، وعلى اثر ذلك قام مدير الباستيونديسو من جهته بإرسال تقرير مطول الى حكومته بين فيه مصلحة فرنسا في الحفاظ على السلم مع الجزائر، وخاصة و ان تجارتها الشرقية و الغربية على السواء كانت تجابه منافسة حادة من طرف إنجلترا و هولندا، و ان فرنسا في إمكانها بمجابهة هذه المنافسة ووضع يدها على مقاليد التجارة الشرقية اذا ما ارتبطت بعلاقات متينة مع الجزائر.[3]

[1] - بن جبور محمد : البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة عصور ع 12-13 ، جامعة وهران ، الجزائر 2008 ، ص 111

[2]- محمد العربي الزبيري : " مقاومة الجزائر للتكتل الاوروبي قبل الاحتلال " ، مجلة الاصالة ، ع 12 ، الجزائر ،1973 ص 124

[3] -اسماعيل بن احمد، قراءة في القرار المشيخي الصادر في 22 أفريل 1863، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد10 ، العدد 02، 2022، ص78-86.

لم يكن لهذا القرير أي تأثير على المسؤولين الفرنسيين، فالأسرى الجزائريون لم يصلوا والتذمر الشعبي بلغ ذروته مما اجبر الداي اعلان الحرب على فرنسا في أكتوبر عام 1681م واسر الرياس 29 باخرة فرنسية و3000 شخص فرنسي اودعوهم السجن كرد على الاجراء الفرنسي، لتقابله فرنسا هي الأخرى بمحكمة عسكرية.

- **حملات الاميرال دوكين على الجزائر عامي 1682و 1683:**

حددت فرنسا أهدافها من هذه الحملة بإطلاق سراح الاسرى الفرنسيين في الجزائر، و خاصة الذين اسروا على ظهر المراكب الفرنسية تعويض الرعايا الفرنسيين عن الخسائر والاضرار التي لحقت بهم.

- **حملة الاميرال دوكين الأولى 1093/1682م :**

انطلق دوكين من ميناء طولون في جويلية 1682م ، وكان الماركيز دو سولت قد ارسل الى الماركيز سينيولاي رسائل كثيرة يخبره فيها بان هذه الحرب ستكون مكلفة جدا بالنسبة لفرنسا من جراء الخسائر التي سببتها لتجارة البحرية الفرنسية و المبالغ المالية الكبيرة التي ستؤخذ من الخزينة للإنفاق على هذه الحملة ، كما قال بانه من الأفضل لو تنازل عن بعض بنود المعاهدات التي لا يريد الجزائريون العمل بموجبها وخاصة تلك المتعلقة بالأسرى الفرنسيين الذين اخدوا من على متن سفن دول معادية للجزائر و هو امر سيكون له فوائد لصالح البحرية الفرنسية .

وصل اسطول دوكين الى مدينة شرشال في 25 جويلية و قصف المينة و استطاع في ساعات قليلة تدمر مينائها و احرق مركبين [1] ثم حضر الى مدينة الجزائر و شرع في قذفها بالقنابل ، فطلب الديوان من لوفاشي ان يذهب ليتعرف على شروطه و رفض دوكين ان يتفاوض معه و طلب مندوبا رسميا من الداي و الديوان ،وواصل قذفه حتى يوم 12 سبتمبر.[2]

[1] – حنيفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009، ص69

[2] – وليم سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص 157

كلف الداي بابا حسن بعض الرجال بحراسة المدينة حراسة مشددة لمنع دخول المتسللين اليها، ولكن بسبب سوء الأحوال الجوية اضطر دوكين الى الإبحار باتجاه فرنسا ،وخلف وراءه الماكيز [1]دي ليري مع نية الرجوع في 13 الربيع القادم الى مدينة الجزائر 13لقد خلفت هذه الحملة حوالي خمسمائة و شخص وهدم حوالي خمسين بناية ،وكل من لويس الرابع عشر وكوليبر كانا غاضبين من مدافعهما لم تكون اكثر فعالية ،وامرا ان تعطي عناية اكبر في محاولة السنة القادمة .

- **حملة الاميرال دوكين الثانية 1683/1094م**

عندما فشل دوكين في تحقيق أهدافه خلال الحملة الأولى ، عاد الى فرنسا وجهز حملة أخرى تكونت من 43سفينة انطلقت من طولون يوم 6 ماي 1683 و ارسل الى القالة ليوافيه من هناك 400 شخصا فرنسيا من العاملين في شركة الباستيون ليكونوا الى جانبه ، ووصل الى مدينة الجزائر يوم 18 جوان و انذر الداي بابا حسن بان يفرج في الحال على جميع الاسرى الفرنسيين و الأوروبيين ، فلم يجبه الداي و شرع في قذف المدينة [2]

و غير ان اضطراب البحر عطل قصف المدينة الذي لم يبدأ الا في مساء يوم 26 جوان و استمر الى اليوم الموالي ، اين كان الجزائريون يردون على الدافع الفرنسية بالمثل ، و على ما يبدو ان الجزائريين كانوا يفتقرون لجند مدفعين مهرة .[3]

قام الداي بإرسال مبعوث برفقة الاب لوفاشي [4]، الا ان يكون دوكين رفض مقابلته 16 و كان خشنا خشونته السابقة ، فقد رفض ان يقدم كرسيا للقسيس فاشي الذي كان مريضا وطاعنا في السن و عندما جاءه هذا الاب المعبوث الى السفينة عارضا عليه عروض المفاوضة من الداي ، بل انه اهانه بقوله على انه كان تركيا اكثر من مسيحي ، و قد رد

[1] – ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000، ص 569.

[2]-Belhamissi(M), Alger L'Europe et la guerre secrète 1518-1530, Alger, édition -15 Dahlab, 1999, p43.

[3] – أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 203.

[4] –حسن أميلي: معاملة الأسرى المسيحيين في كتاب بربارية وقراصنتها للأب بيار دان المجلة التاريخية المغاربية ع 119، تونس، 2005، ص 184

عليه الاب لوفاشي بقوله : انني قسيس 16وأجاب الداي بانه لن يوقف قصف المينة ما لم يتم الافراج عن كل الاسرى الفرنسيين 16بالإضافة الى دفع ضريبة حرية مقدرة بمليون ونصف مليون فرنك فرنسي.

إزاء ذلك اضطر الجزائريون للخضوع لرغبات الاميرال و بدؤوا بجمع الاسرى، ففي 29 جويلية جمعوا 44 اسيرا و في 30 جويلية جمعوا 24 اسير وفي 01 اوت جمعوا 152 اسير و في 02 اوت جمعوا 83 اسير ، وبعد تم جمع الاسرى خرج الى المدينة هايتوكومبيسل اجراء مفاوضات مع الجزائريين 17رفض الرياس مطالب دوكين و ثاروا على الداي و قتلوه وبايعوا الرايس حسين وموزمورتودايا في مكانه ، و بسبب هذا الحادث عاد دوكين و رفاقه الى مراكبهم و شرعوا في قذف المينة من أخرى باعتمادهم على أساليب القوة و العنف حتى في مواطن السلم ، و قد رد الرياس على هذا بنفس الأسلوب ، فاعتقلوا القنصل لوفاشيووضوه امام فوهة مدفع فتقطع الى أشلاء وفعلوا مثل ذلك بعشرين اخرين من الفرنسيين .

هدد الجزائريون دوكين و رفقائه بنفس المصير، فاغتنموا سوء الأحوال الجوية خلال شهر أكتوبر، ورحلوا وخلفوا ورائهم تورفيل لمواصلة الحصار مدة من الزمن.

لقد انتهج الداي حسين ميزمورتو سياسة جديدة اتجاه فرنسا، حيث فتح باب المفاوضات بينه وبين فرنسا بنفسه، اذا كلف دوسولت مدير شركة الباسيتون ان يتوسط من اجل التوصيل الى ابرام صلح، و قد عرض المبعوث هذا الامر على فرنسا التي قبلت بهذا العرض وكلفت تروفبل بان يباشر عملية المفاوضات. [1]

بعثة تروفيل 17 جويلية 1684م / 2 شعبان 1095 هـ:

وصل المفاوض تروفيل الى الجزائر يوم 2 افريل 1684م ن وتوصل الى معاهدة عرفت باسمه نصت على ان تكون لمدة مائة عام تحتوي على 29 مادة ، عالجت المشاكل السياسية الاقتصادية .[2]

[1] – حسن أميلي: "القراصنة ومعتقداتهم بشمال إفريقيا في كتاب باربارايا وقراصنتها، المحلة التاريخية المغاربية ع 115، تونس، 2004، ص169

[2] – ديكتودي صوريس : تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1989، ص198

بعد برام هذه المعاهدة ذهب وفد جزائري الى فرنسا صحبة تروفيل ، قادة جعفر اغا و 12 عضو من أعضاء الديوان و امضى الملك الفرنسي على معاهدة يوم 17 جويلية 1684م

1- استقر السلم بين امبراطور فرنسا وداي الجزائر وحرية التجارة و ضمان الامن لبواخر الطرفين.

2- التوقف عن اعمال القرصنة من كلا الطرفين ضد الطرف الاخر[1]

3- اطلق سراح الاسرى لفرنسيين في الجزائر وسراح الجزائريين في فرنسا

4- اطلاق سراح 19 الاسرى الفرنسيين الذين اسرهم أعداء الامبراطور الفرنسي عندما يصلون الى الجزائر ولو اسروا من طرف قوات أخرى 19.

وظهرت نتائج هذه المعاهدة ، حيث تم إعادة 396 اسير الى الجزائر و حررت هي بدورها 400 اسير اوربيا ، و في شهر ماي 1686م عاد تور فيل الى الجزائر و صحب معه هدايا للداي و الديوان بالإضافة الى احضار ه 75 اسيرا مسلما باسرى مسحيين.20

- **حملة "ديستري " على مدينة الجزائر ، (رجب 1100هـ -26 جويلية 1688م) :**

لم تمض أربع سنوات على إمضاء معاهدة السلم المئوي والتي كان لها الأثر الطيب في تاريخ العلاقات بين البلدين ، حتى تذرعت فرنسا لإعلان الحرب ضد الجزائر بحجة سماح الجزائر ببيع غنيمة فرنسية من طرف أحد بحارة مدينة سلا [2]، وكتب دوسول إلى الداي إبراهيم باشا و بعض أعضاء الديوان ، حذرّهم فيها من عواقب ما يشاع في فرنسا من اجل الجزائريين يقذفون الأسرى الفرنسيين من فوهات المدافع ، وأكد لهم بأن فرنسا ستفعل مثل ذلك بالجزائريين

[1] - عبد الله حمادي: جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان"، مجلة المصادر، ع 06. الجزائر، 2002، ص 271

[2] - Belhamissi (M), Histoire de la marine Algérienne1516-1830, Alger, Enal, 1983, p67.

في شهر جوان وصل دوستري إلى الجزائر على رأس قوة مكونة من 15 مركبا ، 16 غاليرة وعشر غليوطات مزودة بالمدافع بدأ الماريشال بالقصف ، وتم إغراق خمس سفن بالميناء و أصيبت بعض الجوامع و المنازل بأضرار كبيرة ، كما تهدمت الترسانة و الفنار و رصيف الميناء و أصيب موزمورتو ، ولم يتأثر الاهالي بالقصف لأنهم خرجوا من المدينة ، وكان الباشا قد سجن القنصل القسيس و 25 بحارا فرنسيا ، وبما أن الأسطول قصف المدينة ، قام موزمورتو بربط هؤلاء الأسرى بفوهات المدفعية ثم قذف بهم ، ورد عليه ديستري بنفس الشيء[1]. لم يحقق ديستري من هذه الحملة أي شيء ، ففي أوائل أوت تم استدعاءه بالرجوع إلى فرنسا [2]

قامت حكومة فرنسا في شهر (أفريل 1689 م) بإرسال سوراند (Sorhaind) في مهمة سرية ، وحضر بعده مارسيل قيوم (Marcel Guillaume) نائب رئيس البحرية الفرنسية في 19 سبتمبر ، وأمضى معاهدة سلم جديدة مع الجزائر نصت على تطبيق معاهدة تور فيل السابقة وعلى تبادل الأسرى، حيث وصلت باخرة فرنسية تحمل على متنها 113 أسيرا مسلما وبادلتهم بعدد مماثل من الأسرى المسيحيين الفرنسيين .

بقيت العلاقات الجزائرية الفرنسية على سلام وهدوء إلى غاية نهاية القرن السابع عشر ولم تكن فيه سوى حوادث صغيرة خاصة بالميدان الاقتصادي، إلا أن مشكل الأسرى عاد ليؤثر بين الطرفين، ففي بداية القرن الثامن عشر وهي السنة التي تم فيها إقرار و تثبيت معاهدة السلم من طرف لويس الخامس عشر لم يطرأ على العلاقات أي توتر ، ولكن منذ عام (1729 م) ظهرت بعض المشاكل . وقعت حوادث بين البحارة الجزائريين و البحارة الفرنسيين ، حيث استولت الجزائر على أربعة مراكب فرنسية على السواحل الاسبانية ، وقد كان هذا العمل كرد فعل على إخفاء فرنسا ل 32 شخصا جزائريا أسروا من طرف قراصنة مالطا ، وسلمو هؤلاء الأسرى ، ولكن خبرهم وصل إلى الجزائر وقوبل الرد بالمثل .

[1] - بليل رحمونة : دور العمل البحري في إقتصاد الايالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر ، مجلة الحوار المتوسطي ع 2 ، دار الاصول للطباعة والنشر سيدي بلعباس ، الجزائر 2010، ص 19.

2-Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646, p300.

أرسل الفرنسيون على اثر ذلك أربع سفن حربية إلى مرسى الجزائر للتهديد و إجبارا لداي على تقديم ترضيات ، ووصلت العمارة الفرنسية بقيادة دوقاي تروان يوم (11 جوان 1731م) .

انزعجت السلطات لوصول هذه العمارة وغضب الداي من هذا العمل الفرنسي و استدعى القنصل وطلب منه توضيحات حول ذلك ، خاصة وأن بعض الأوروبيين بالمدينة كانوا قد روجو شائعات مفادها أن فرنسا تريد إهانة الداي بقيامها بهذه المظاهرة .

لقد رفض عبدي باشا ترضية أي مطلب للفرنسيين ، وعندما قام القنصل بتهريب عدد من الأسرى ، ثم ردهم بالفعل وبعدها قام بإطلاق سراحهم. إن استمرار استيلاء البحارة الجزائريين على السفن الفرنسية و أسر افرادها ، جعل فرنسا تلتجئ إلى الدولة العثمانية ملتمسة فيها مساعيها لتجديد صلح بين الطرفين حتى تحد من هذا النشاط البحري ضد المراكب ، وتضمنت المادة 41 من الاتفاقية على ما يلي :

" ... يشاهدون السفن التجارية الفرنسية يعتدون عليها ، فمن الآن وصاعدا يجب إنهاء هذه الوقائع و الأحداث ، كما يجب على الدولة العلية تبليغ الولاء و الحكام وجميع ضباطها بالتعاون مع القناصل و التجار الفرنسيين ، كما يجب على الدولة العلية منع قراصنتها من مهاجمة السفن الفرنسية ، وعدم أسر و استرقاق و استعباد الفرنسيين الموجودين لديهم ... " وبالرغم من كل المساعي الفرنسية إلا أن الأحداث بين الطرفين توالت و أضحكت العلاقات تتميز بالهدوء تارة و التوتر تارة أخرى.[1]

خلال عام (1753م) وقعت حادثة من حوادث البحر المعتادة ، وكادت هذه المرة أن تؤدي إلى القطيعة ، حيث فكرت فرنسا جديا في شن حرب على الجزائر و إرسال عمارة بحرية لقصف العاصمة بالقنابل ، وسبب وقوع الحادثة يعود إلى رفض أحد المراكب الفرنسية التوقف للتفتيش عند التقائها بإحدى السفن الحربية الجزائرية قرب مدخل مضيق جبل طارق

[1]- Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

. لقد بادر الربان الفرنسي بإطلاق نيران مدافعه على السفينة الجزائرية ، مما أدى إلى نشوب المعركة وتم الاستيلاء على المركب وسيق إلى الجزائر ، حيث احتجز و صودرت شحنته ، وتم أسر ملاحيه ومعاقبة ربان المركب بجلده مما تسبب في وفاته .

إن رفض التفتيش والمبادرة بإطلاق النار ، يعتبر انتهاكا صريحا لمعاهدة السلم القائمة بين الطرفين . وقبل أن تتخذ الحكومة الفرنسية موقفا نهائيا من قضية الحرب أو السلم ، عهدت إلى القيام باستشارات واسعة حول هذه القضية ، ونتج عنها وجهتي نظر مختلفتين ، إحداهما تعتبر أن الحرب مفيدة و أنها الوسيلة الوحيدة لقمع الجزائريين ووضع حد لتجاوزاتهم ، و الأخرى تعتبر أن الحرب و استعمال القوة لن يؤدي إلى نتيجة ، متبنية في ذلك مصالح فرنسا وقوة الجزائر خلال هذه الفترة وعليه أخذت فرنسا بالرأي الثاني وتخلت عن فكرة إرسال حملة ضد الجزائر و الاكتفاء بالاعتماد على العمل الدبلوماسي، اعتذر الداي عن هذا التصرف مطلع عام (1754م) و أطلق سراح الأسرى ماعدا الذين ماتوا بسبب التعب ومنهم دوبانا .

في 11 نوفمبر 1763 م وصلت إلى ميناء الجزائر ثلاث بواخر حربية لتهديد الجزائر على أثر قيامها باعتقال جميع الفرنسيين المتواجدين بالجزائر والعاملين بمؤسسات القالة و عنابة و المتواجدين على ظهر السفن الراسية بالموانئ ، وفي الأخير تمكنت فرنسا شهر جانفي (1764 م) من إبرام صلح بينها وبين الجزائر نصّ على إطلاق سراح الأسرى ، وبعد إمضاء هذا الصلح ، حضرت إلى الجزائر فرقاطة الملك مع مركب آخر وعليهما عدد من المساجين الجزائريين الذين كانوا محتجزين في فرنسا ، فرحب الديوان بطاقمي المركبين ، وعادت العلاقات الطيبة مع فرنسا طيلة ربع قرن تقريبا .

قطعت الجزائر علاقتها مع فرنسا بعد غزوها لمصر عام (1798 م)، واعتقلت القنصل الفرنسي وموظفي القنصلية وأودعتهم السجن ، فردت فرنسا على ذلك باعتقال يعقوب كوهين باكري و سيمون ابو قاية بباريس.

في سنة (1800 م) قامت حكومة فرنسا ببعث ديبواتانفيل (Dubois . Thainville) كقنصل جديد إلى الجزائر من أجل التفاوض على إبرام معاهدة صلح ، وقد أمضى تانفيل مع الديوان معاهدة سلم يوم 30 سبتمبر (1800 م) ، فأطلقت فرنسا سراح يعقوب كوهين وابو قاية ،واستطاعت فرنسا أن تحصل على معاهدة صلح أخرى بفضل الباب العالي ، فبسبب مهاجمة البحارة الجزائريين للسفن الفرنسية ، رفعت احتجاجاتها مرة أخرى لدى الباب العالي ، وقام السلطان بواجبه ، فأرجع الجزائريون كل ما سلبوه ، وعقدت هذه الاتفاقية يوم 11 شعبان 1216 هـ / 17 ديسمبر 1801 م ، وقد اشتملت هذه المعاهدة على تسعة عشر بندا وهي تتخلص في إعادة العلاقات الودية بين الدولتين .

ووفقا للمادتين السابعة والثامنة من معاهدة السلم هذه ، يمنع استرقاق الفرنسيين في إيالة الجزائر مهما كانت الظروف و الأسباب ، وزيادة على ذلك فإن الداي أطلق سراح جميع الأسرى المسيحيين الذين كانوا معتقلين عنده وكذلك سائر السفن الايطالية و الفرنسية التي كانت محجوزة لديه[1]

- **حملة الضابط هولان 8 جويلية 1802 م :**

واصل البحارة الجزائريون مطاردتهم وملاحقتهم للمراكب الفرنسية في البحار ، فاعترضوا السفينة الحربية بانيل قرب رأس تنس ، وهي في طريقها إلى سان دومينيك بأمريكا الوسطى وحطموها واستولوا على ما بها من التموينات الحربية و أسروا 200 بحارا و 29 جنديا و 9 نساء ، وقادوا الجميع إلى باي وهران يوم 15 جانفي 1802 م .

وعندما احتج تنقيل على هذا ، هدده الداي بالطرد هو وكل الفرنسيين إذا لم تدفع فرنسا له 200 ألف بياستر وأعطى له مهلة أربعين يوما ، ومن جهة أخرى هاجم بعض الرياس سفينة فرنسية في سواحل تونس ، واستولى آخرون على مركبين فرنسيين آخرين في سواحل تورنتو الايطالية واعتقلوا جميع الركاب و أودعوهم السجن و أسروا 38 رجلا من جزيرة كورفو

[1]- Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646, p300.

. و إزاء هذه الأوضاع كلف نابليون بونا بارت الضابط هولان (Hulin) أن يذهب إلى الجزائر لتهديدها على رأس عمارة بحرية كبيرة .[1]

غادرت الحملة الفرنسية يوم 08 جويلية 1802 م تحت قيادة الأميرال ليسق (Leyssegue) الذي أمر بفرض حصار عليها ، وطلب بونابارت من وزير بحريته الأميرال دوكر (Decrs) أن يحشد عشرة بواخر حربية في البحر الأبيض المتوسط تحسبا للطوارئ ، وقد تمكن هولان من إطلاق سراح أسرى سفينة بانيل و باقي المراكب الفرنسية المحتجزة و محتوياتها الباقية ، وفي 27 جويلية التحق به القنصل الفرنسي على مركب لوماتان (Le matin) حاملا رسالة تهديد إلى الداي ،[2] ومما جاء في فيها <<... إذا لم تقم بردع كل من قام بإهانة ممثلينا و إذا لم احصل على ترضيات منكم ، فسأقوم بحشد ثمانون ألف جندي إن لزم الأمر ، و أحطم إيالتكم ، فكر أنت و أعضاء ديوانك في محتوى هذه الرسالة>> ولما أدرك الداي نوعا من الجدية في التهديدات الفرنسية ، قبل إطلاق سراح الأسرى و إعادة السفن المحتجزة و البضائع المصادرة وتعويض التالف منها .

[1] - بليل رحمونة : دور العمل البحري في إقتصاد الايالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر ، مجلة الحوار المتوسطي ع 2 ، دار الاصول للطباعة والنشر سيدي بلعباس ، الجزائر 2010، ص 19.

[2] -Nationale Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque

المبحث الثاني: تأثير قضية الأسرى في العلاقات بين الجزائرو إسبانيا

هذا المبحث سيقدم رؤية شاملة لتأثير قضية الأسرى كعامل مهم في تحديد طبيعة العلاقات بين الجزائر والقوى الأوروبية آنذاك، وكيف استغلت الأطراف هذه القضية لتحقيق مصالحها السياسية والعسكرية.

المطلب الأول: مع اسبانيا

لقد شكل الأسرى من بين أهم القضايا التي أثرت أكثر في العلاقات بين الجزائر و اسبانيا، وبما أننا نتناول قضية الأسر و تأثيرها في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال عهد الدايات ، فإن تأثير الأسر خلال هذه الفترة ، قد مثل عامل تقارب وعامل تباعد بين الطرفين وذلك من خلال ما لمسناه من بعض الرسائل التي تم تبادلها بين الجزائر و اسبانيا خلال هذه الفترة .

في بداية القرن السابع عشر أو خلال القرن السادس عشر، سيطرت مسألة الأسر على العلاقات بين البلدين وما نتج عنها من حملات ضد الجزائر، كحملة أندري دوريا على شرشال عام (1531 م) ، حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة (1541 م) وحملة جيوفاني سنة (1601 م) وحملة الأب ماثيو على مدينة الجزائر سنة (1603 م) .

أما خلال عهد الدايات، فقد استمرت المناوشات البحرية بين الجزائر و اسبانيا و أسفر عنها وقوع العديد من الأسرى بيد الجزائر ، ففي التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير عام (1707 م) ، أعدّ الداي محمد بقطاش حملة عسكرية وتمكن من تحريرها و اعتقل عدد كبير من الاسبان يقدر عددهم بحوالي ألفي أسير (بينهم فرنسيون و مالطيون).

فالنسبة الكبيرة من الأسرى الأوروبيون بالجزائر كانوا من الاسبان ، ولا شك بأن هؤلاء كانوا محل اهتمام من طرف الحكومة الاسبانية ، وهذا ما جعل اسبانيا عام (1768 م) تقوم بجهود دبلوماسية لدى سلطان المغرب للتوسط بينها وبين الجزائر على إطلاق سراح هؤلاء الأسرى .

راسل ملك اسبانيا السلطان محمد بن عبد الله ملك المغرب راغبا في وساطته لدى داي الجزائر لتحرير الأسرى الاسبان الموجدين تحت نفوذ حكومة الجزائر ، وكان عددهم يفوق بكثير ما عند الاسبان من الأسرى الجزائريين ، على أن تكون المفاداة رأسا برأس على حسب مراتبهم و منازلهم في الإطار السياسي و العسكري . كاتب سلطان المغرب الجزائر مرتين إلا أنها رفضت ذلك ، وفي المرة الثالثة استجابت لوساطته على أن يبعث من قلبه من يمثلهم ليحضر هذه المفاداة ويكون تسليم الأسرى من الطرفين على يده و بمحضره ، فجاء مركب الاسبان إلى الجزائر مشحونا بالأسرى الجزائريين ، وتم التبادل ب 1600 أسير من كلا الطرفين .

زادت قضية الأسرى الاسبان من حدة العلاقات بين الطرفين وفتحت باب المفاوضات مباشرة مع الجزائر ، بحيث تم التوصيل في النهاية إلى اتفاق يقضي بتبادل الأسرى فقط ، وكان هذا الاتفاق عام أكتوبر (1768 م) ، واشترط الجزائريون أن تطلق اسبانيا جميع من لديها من الأسرى المسلمين مقابل إطلاق سراح الأسرى الاسبانيين ، وبموجب هذا الاتفاق أطلقت اسبانيا 1200 أسيرا مسلما مقابل 712 أسيرا اسبانيا .

أعيد تطبيق هذه الاتفاقية سنة (1773 م) ، واشترطت الجزائر في هذه المرة على إطلاق سراح أسيرين مسلمين مقابل أسير اسباني وبذلك أطلقت اسبانيا 1606 أسيرا مقابل إطلاق الجزائريين سراح 570 أسيرا من الاسبانيين[1]. إن إبرام هذه الاتفاقية لم يضع حدا للنزاعات بين الطرفين ، ولم يكفا من مهاجمة بعضهما البعض في عرض البحر ، حيث عادت السفن الجزائرية إلى الإغارة على السفن الاسبانية وعلى سواحلها ، ويعود سبب ذلك إلى الموقف العدائي الاسباني ضد مسلمي الأندلس و الجزائر . كثيرا ما عادت السفن الجزائرية من إغارتها منتصرة و ممتلئة بالغنائم ، فتجمع من ذلك يومئذ بالجزائر ما يزيد على عشرة آلاف أسير 10000 ، ولم يقف نشاط الداي بابا محمد عثمان عند حصار الاسبان داخل التراب الجزائري بوهران ، بل شجع رياس البحر على العودة إلى مهاجمة سواحل اسبانيا ذاتها ، وإزاء هذا الأمر قرر

[1]- Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

شارل الثالث ملك اسبانيا أن يقوم بحملة كبيرة ضد الحكومة الجزائرية وذلك سنة (1189 هـ - 1775 م) **حملة الكونت أوريلي (1775 م – 1189 هـ) :**

قرر شارل الثالث أن يوجه حملة ضد الجزائر ، بحيث قام بتجهيزها في قرطاجة ، تألفت من ستة مراكب كبرى و 24 غليوطة و 344 باخرة نقل على متنها 22600 مقاتل بقيادة الجنرال أوريلي الايرلندي الأصل و الذي اشترك في الحرب الايطالية الألمانية ، أبحر بها من اسبانيا يوم 26 جوان ووصل إلى ميناء الجزائر في أول الشهر الموالي ووجد المدينة على أتم الاستعداد لمواجهته ، لأن قادتها علموا بأخبار الحملة قبل أن تصل ، ففكر في الاتجاه إلى سيدي فرج لإنزال جنوده ثم اتجه إلى الضفة اليسرى لواد الحراش وتصدى له هناك المدافعون قبل أن يتمكن من احتلال الأماكن التي قصدها ، وقُتل في المعارك الأولى 2088 شخصا و جُرح 2300 آخرين ولم يفلح في قذف المدينة ، وأرغم على الانسحاب بمعظم قواته وخلف وراءه خمسة سفن كبيرة لتحول دون ملاحقة الرياس له ولقافلته .[1]

اشتهرت هذه الواقعة بواقعة عام الرمل لوقوع الاشتباكات فيها برمال الشاطئ الجزائري ، ولقد يبعث أسلاب العدو و جميع المغانم بسوق البادستان بمدينة الجزائر ، ولم يجد شارل الثالث بدا بعد هذه الهزيمة من محاولة الصلح مع حكومة الجزائر ، فتوسط عند الباب العالي لهذا الغرض ، ولكن الداي محمد باشا رفض ذلك و أصر على تمسكه بتخلي الاسبان أولا عن وهران ، ومما زاده تمسكا بموقفه هذا هو ما بلغه من أن شارل الثالث يسعى في نفس الوقت إلى تأليف حلف صليبي متكون من إمارات ايطاليا تحت رعاية البابا بيوس السادس .

[1] - الطاهر تومي . حملة الكونت أورللي «orelly» على مدينة الجزائر سنة 1775م. مجلة الحوار المتوسطي. المجلد07. العدد 02. 2016 . ص260-262.

أ) حملة انطونيو بارسلو (1783 م) :

رغم هزيمة أوريلي في حملته الأولى إلا أنه لا يزال يفكر في الانتقام ، فأخذ في تجهيز حملة كبيرة مستغلا في ذلك الظروف الدولية الصعبة التي تتعرض لها الجزائر وهي تكالب معظم دول أوروبا ضدها و ضد قواتها البحرية ، إضافة إلى رفضها عقد أي صلح مع اسبانيا ما لم تقم هذه الأخيرة بالانسحاب نهائيا من وهران و المرسى الكبير ، فجهز 65 مركبا بحريا و الآلاف من الجنود أسندت قيادتها إلى انطونيو بارسيلو الذي غادر قرطاجنة يوم 23 جويلية 1783 م ووصل في مطلع الشهر الموالي إلى المدينة و قذفها بكمية كبيرة من القذائف بلغت 7585 قذيفة ، ولكنه عجز عن النيل من حصونها وقوة دفاعاتها ، وتصدى له الرياس و أرغموه على الانسحاب منهزما وجدد الكرة في نفس الشهر الموالي واضطر إلى الانسحاب

لقد كان هذا الهجوم آخر هجوم اسباني على الجزائر[1]، وتوجت جميع الهجمات بالفشل فما كان من اسبانيا إلا عقد الصلح مع الجزائر وطلبت من القنصل الفرنسي كرسي (De Kercy) أن يتوسط لها بالصلح ، ولكن الداي كان رافضا تماما للصلح وكانت المناقشات صعبة جدا . ونظرا للجهود المكثفة التي بذلها القنصل الفرنسي ، وقع الصلح في الرابع عشر من حزيران سنة (1786 م – 1201 هـ)[2].

استفادت الجزائر من هذا الصلح لأنه كان في الجزائر ألف وثلاثمائة وخمسون أسيرا اسبانيا ، باعو الأسير الوحيد بألف ريال ، وبعد الصلح أرسل الملك الاسباني 500 كيس من المجوهرات و الأمتعة و الهدايا القيمة إلى حاكم الجزائر[3].

فتحت هذه الاتفاقية آفاقا جديدة في العلاقات الجزائرية الاسبانية ، فبعد توقيع الصلح تبادلت العديد من المحادثات و المراسلات بين البلدين بشؤون الأسرى ونذكر منها مايلي :

---

[1]1- Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

2- Belhamissi (M), Histoire de la marine Algérienne1516-1830, Alger, Enal, 1983, p67.

3-Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646, p300.

الرسالة التي وجهها وكيل الحرج حسن إلى الكونت دي فلوريدا بلانكا بتاريخ 20 سبتمبر 1786 م ، اخبره فيها بأن مركبا بحريا اسبانيا وصل إلى الجزائر و احضر معه رسالتين من مجلس الملك سلمهما إليه مدير مستشفى الأسرى الاسبان بالمدينة ، كما احضر معه قنصل اسبانيا الجديد بيدرو سوكيتا (Pedro Suchita)الذي طلب مقابلة الداي ليتحادث معه في شأن تحرير الأسرى . وفي رسالة أخرى وجهت من الكونت دي فلوريدا بلانكا إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ (1787 م) ، عبر له فيها عن شكره لإطلاق سراح الاسرى الاسبان الذين أسرهم البحارة الجزائريون .

وقد جاءت مسألة هروب الأسرى لتؤثر على العلاقات بين الطرفين من جديد ، حيث فر 12 أسيرا ، إلا أن الجزائر استطاعت إعادتهم ، فتدخل القنصل الاسباني و احتج بالإصرار على عدم معاقبتهم . أغضب هذا الأمر الداي وطلب من اسبانيا بضرورة تغيير هذا القنصل (دون ميغيلدولاريا) قبل أن يتأزم الوضع أكثر .[1]

لقد تم الجلاء النهائي للإسبان من وهران و المرسى الكبير سنة (1792 م) ، وتم إبرام معاهدة صلح حصلت من خلالها اسبانيا على بعض الامتيازات الاقتصادية، ورغم إمضاء هذه المعاهدة فلم يتم احترامها من طرف الاسبان ، وهذا ما استنتجناه من خلال الرسالة التي وجهت من الداي حسن إلى الملك كارلوس الرابع بتاريخ 3 شعبان 1208 هـ / 06 مارس 1793 م

و أهم ما جاء فيها هو عدم احترام اسبانيا لشروط الصلح ، وتمثل ذلك في انه " على كل باخرة أن يكون لها جواز خاص بها حتى يتم احترامها من طرف البحارة " ، وعثر الرياس الجزائريون على إحدى السفن لا تحمل الجواز وبالتالي اقتادوها إلى الجزائر و احتج على إثرها القنصل الاسباني .

[1] -زينة سمسار. الحملة الفرنسية على فرنسا1930. ب تاريخ2025/01/19. رابط الموقع الالكتروني:
https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1189552

ومراعاة للصداقة بين البلدين (على حد قول الداي حسن) تم إطلاق سراح المركب ، وبعد بضعة أشهر احتجزت الجزائر مركبا آخر لا يحمل جواز سفر وتم أسر جميع الركاب .

تعددت حوادث البحر بعد ذلك إلى غاية سنة (1812 م)[1]، إذ توترت العلاقات بين حكومتي الجزائر و اسبانيا ، وذلك بسبب حلول مركب اسباني بميناء بونة حاملا معه خليطا من البحارة ، كان فيهم فرنسيون و ايطاليون من أهل جنوة ونابولي وسردينيا ، وهو بذلك في وضعية مشبوهة وغير قانونية فاشتد الأمر وتبادلت التهم بين البلدين.

المطلب الثاني: تأثير قضية الأسري العلاقات بين الجزائر وانجلترا

أعلنت انجلترا الحرب على الجزائر وذلك بسبب قيام هذه الأخيرة بالاستيلاء على سفينة " ويليام أوف لندن " وكان ذلك في حدود سنة (1669 م) ، ونتيجة لاستمرار الجزائر اعتراضها للمراكب الانجليزية و أسر طاقمها ، اتخذت انجلترا طريق الحرب .

أ) بعثة توماس إلى الجزائر :

قامت انجلترا ببعث المفاوض ألان توماس إلى مدينة الجزائر من أجل تجديد المعاهدة و إطلاق سراح الاسرى ، وكانت تعليمات توماس بأن يقوم على التغلب بالقوة على أي سفينة جزائرية قد يلقاها في طريقه إلى الجزائر ، وعندما يصل إلى المدينة فعليه أن يطلب إطلاق سراح الاسبان بالإضافة إلى الانجليز الذين أسروا من على متن السفن الانجليزية ويجب معاقبة الرياس المذنبين ، فإذا وافق الجزائريون على هذه المطالب فإنه يمكنه تجديد المعاهدة . و إذا لم يتوصل توماس إلى أي اتفاق فإنه بإمكانه أن يهاجم ويغرق سفن الجزائريين في الرصيف البحري و أية سفن أخرى في المرسى [2].

[1]- Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

2- Belhamissi (M), Histoire de la marine Algérienne1516-1830, Alger, Enal, 1983, p67.

وصل ألان توماس إلى الجزائر في أول سبتمبر (1669 م) و أرسل مطالبه إلى حكومة الداي ، كما قام بإقاف جميع السفن الداخلة إلى ميناء الجزائر و أسر ركابها . كان الرد الجزائري على مطالبه بالرفض ، فقام بإحراق سفينة جزائرية وعرض تبادل الأسرى ، وكان الجواب من جديد غير مرضي وهكذا أصبحت الجزائر و انجلترا في حرب ، ففي شهر أغسطس أغرق الانجليز اكبر سفينة جزائرية . هذا فيما يخص عن الفترة السابقة لعهد الدايات .

ب) هجوم إدوارد سبراغ على مدينة بجاية :

عام (1671م) وصل السيد **إدوارد سبراغ** إلى مدينة بجاية وبدأ بالهجوم الذي تكلل بالنجاح ، حيث استطاع أن يحطم سبعة سفن ، وخلال هذه الأحداث سبح أحد الأسرى الهولنديين إلى الأسطول ، وعندما وصلت هذه الاخبار إلى الجزائريين قاموا بمهاجمة القنصلية الانجليزية فنهبوها و ألقو القبض على القنصل وعلى جميع العاملين في القنصلية ووضعوهم في السجن . وفي نفس السنة عاذ ادوارد سبراغ ثانية إلى الجزائر وهاجم الميناء ، وبعد أن كسر الجنزير الحديدي المستخدم لإغلاق الميناء أحرق تسعة سفن .[1]

لقد قام داي الجزائر بدعوة الإنجليز للتفاوض حول معاهدة جديدة ، ومن جهته أصر سبراغ على تثبيت النصوص الواردة في المعاهدات السابقة مع إضافة مواد تؤكد حق فداء الأسرى الانجليز بثمن البيع الأصلي ، بالإضافة إلى ضمانات أقوى بالنسبة لحركة النقل بين طنجة و اسبانيا . لم تتم المفاوضات وذلك بسبب انشغال انجلترا بحروبها الأوروبية .

وخلال عام (1674م) كتب داي الجزائر إلى شارل الثاني يحثه على إرسال النقود لفداء الأسرى الانجليز المتواجدين بالجزائر ، وقال له إذا تقم بفدائهم سنرسل إليك قنصلك وسيكون ذلك فرصة لإنهاء السلام معك ، وفي هذه الأثناء كان السيد جون نابورو في طريقه إلى الجزائر ومعه النقود للفداء ، ولكن الأوامر التي أعطيت له كانت تسمح له بعقد السلام أو الحرب ، وقد تم فداء الأسرى عن طريق السيد جون الذي استطاع تحرير مائة وتسعة وثلاثين شخصا .

[1] - Henri Delmas Grammont, (1887) Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)

إن الشيء الملاحظ من هذا ، هو أن انجلترا كانت دائما مستعدة للحرب ولم تكن نيتها أخذ طريق السلام مع الجزائر ، كما سنرى لاحقا .

ج) حملة نابورو (1677 م) :

أنجز نابورو يوم أغسطس عام (1677 م) نحو الجزائر وذلك للمطالبة بالترضيات عن الإساءات الكثيرة و الاعتداءات التي حدثت لرعيا الملك ، وقام بالاستيلاء على أربعة سفن جزائرية وهاجم سفينة (وردة الجزائر) وأسر ضباطها ، وكل هذا كان دون إعلان الحرب ، وقد استغرب نابورو عندما وجد الجزائر غير مصممة على السلم بل باشرت بإطلاق النار على المراكب ، وبعدها غادر الجزائر ومعه الأسرى لبيعهم في ليفورنا [1]. وبالتالي فإن هذا التصرف من قبل انجلترا ، قد جعل الجزائر تتخذ إجراءات ضدها ، فطيلة هذه الفترة لم تتوقف الجزائر عن مطاردة السفن الانجليزية ، هذا ما جعل انجلترا توجه إليها حملة كبيرة سنة (1749 م) .

د) حملة الأميرال كيبل (1749 م) :

صادرت الجزائر سفينتين انجليزيتن مع حمولتهم كانا يبيعان البارود للقبائل ، فأيقظت هذه الأحداث غضب لندن ، وقررت ان تبعث حملة بقيادة الأميرال كيبل سنة (1749 م) على رأس أسطول مؤلف من بع سفن ، وعندما وصل الأسطول إلى مدينة الجزائر يوم 09 أوت قدّم كيبل شكوى غلى الديوان جوابا مقنعا بإرسال سفيرين إلى انجلترا لبحث الموضوع ، وفعلا تم بعث شخصين من طرف الديوان في 10 جويلية 1750 م .

عاد كيبل مرة ثانية إلى الجزائر ومعه أربعة سفن حربية ، لكن الداي رفض الدخول في مفاوضات معه قبل رجوع سفرائه ، وفي 16 سبتمبر شوهد الأسطول الانجليزي مرة أخرى أمام الجزائر ، وبعد يومين من وصوله عقد الديوان اجتماعا وأصر

[1]- Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

الأميرال على الدخول غلى الديوان متقلدا سيفه ورفض تقبيل يد الداي ، وطالب بالامتيازات التي تتمتع بها فرنسا ، غير أن الداي رفض مطالبه وانهى المفاوضات بتسليمه عشرون أسيرا. [1]

أشارت كاثكارت إلى أن السفن الجزائرية أسرت اثنتين وعشرين سفينة شراعية بريطانية ، بالإضافة إلى أكثر من مائة سفينة لصيد المرجان . أثار هذا الامر امتعاض بريطانيا ، ويقول كاثكارت << ... أما القنصل البريطاني فقد كان يلاطف الجزائريين ويهدئهم أحيانا ، ويتوعدهم بانتقام بريطانيا وعقابها أحيانا أخرى ...

واصلت الجزائر إغارتها على السفن و أسر ركابها ، حيث أسرت هذه المرة سفينة تسمى " النمر " وربانها هو القبطان أسيلدا ، ولما وصلت هذه السفينة إلى الميناء تردد الداي في أمرها ولكنه في آخر الأمر اعتبرها غنيمة و استولى عليها ووضع أفرادها قيد الأسر ، هذا ما جعل بريطانيا ترسل إلى الجزائر مبعوثا من طرفها .

في يوم 25 ديسمبر 1795 م وصلت بارجتان بريطانيتان إلى ميناء الجزائر ، البارجة الأولى تدعى روميوليوس بقيادة القبطان هوب و البارجة الثانية تدعى (الترتار) بقيادة القبطان ايلفسطون وعلى متنها اللورد فريد نورث المبعوث الخاص من طرف ملك بريطانيا لدى داي الجزائر ، وقد تمكن هذا المبعوث البريطاني في يوم 27 ديسمبر من تسوية النزاع الجزائري البريطانية مع الداي . و أهم ما جاء في هذا الاتفاق :

- لا تعاد السفينة الأسيرة التابعة لجبل طارق وبحارتها إلا بعد دفع الفدية .

- تدافع الحكومة البريطانية مبلغ 600 دولار اسباني فدية لكل واحد من الأسرى الذين يبلغ عددهم 195أسيرا و الذين هم في قبضة الجزائر ، و تتخلى بريطانيا عن مطالبها فيما يتعلق التعويض على السفن و التي يبلغ عددها 22 سفينة والتي أخذها الجزائريون غنائم في الماضي .

[1]-Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996, p93.

وفي يوم 28 سبتمبر تم دفع فدية الأسرى ورُحلوا على متن سفينة اسبانية استؤجرت خصيصا لهذه الغاية .

في بداية القرن الثامن عشر جددت الجزائر أسطولها و استطاعت أن تحصل على المزيد من الغنائم ، وقد اشتهر الرايس حميدو بمجهوده الفعال في إعادة بناء الأسطول الجزائري حتى قدر عدد بحارته سنة(1815 م) بثلاثين ألف ، ولم يقتصر نشاطها في هذه الفترة على حوض البحر الأبيض المتوسط فقط ، إذا يبدو أن عقد الصلح مع اسبانيا قد فتح أمام الجزائر مضيق جبل طارق و الدخول إلى المحيط الأطلسي لممارسة نشاطها على مياهه .

استمرت سيطرة الجزائر المطلقة على البحر الأبيض المتوسط حتى سنة (1815 م) ، حيث تغيرت الأحوال وتطورت الظروف ، مما أدى إلى تقهقر البحرية الجزائرية ، ومن هذه الظروف التكتل الأوروبي الذي واجه حروب نابوليون ، فبعد هزيمته اجتمع الحلفاء في فينا سنة (1815 م) وعقدوا مؤتمرا أوروبيا ، ومن بين القرارات التي اتخذوها تضامنهم للقضاء على البحرية الجزائرية .

خلاصة الفصل

في الختام، يمكن القول أن قضية الأسرى كانت من بين أهم القضايا التي أثرت أكثر في العلاقات بين الجزائر وفرنسا واسبانيا وانجلترا خلال الفترة بين 1671/1815. هذه القضية أدت إلى توتر العلاقات بين البلدين وتسببت في العديد من الحروب والهجمات. كانت فرنسا واسبانيا وانجلترا تطلبن من الجزائر إطلاق سراح الأسرى من جنسياتهم، بينما كانت الجزائر تطلب منهم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين.

تم إبرام العديد من المعاهدات بين الجزائر وفرنسا واسبانيا وانجلترا لتحديد العلاقات بين البلدين وتحقيق السلم. ومع ذلك، استمرت قضية الأسرى في التأثير على العلاقات بين البلدين حتى نهاية الفترة.

الفصل الثالث: مسألة الإسترقاق الأوروبى من خلال المؤتمرات

المبحث الأول: التحالف الأوروبي الغربي ضد الجزائر من خلال المؤتمرات

المبحث الثاني: انعكاسات قرارات المؤتمرات الأوربية على الجزائر

تمهيد

في هذا الفصل الثالث والاخير من درستنا، سنسلط الضوء على مسألة الاسترقاق الأوروبي من خلال المؤتمرات الدولية التي عقدت خلال هذه الفترة، مع التركيز على التحالف الأوروبي الغربي ضد الجزائر، وانعكاسات القرارات التي اتخذتها هذه المؤتمرات على الجزائر. سنتناول بشكل خاص كيفية تناول قضية الاسترقاق في هذه المؤتمرات، وكيف تم توظيفها كذريعة لتبرير التدخلات الأوروبية، العسكرية والدبلوماسية، ضد الجزائر.

المبحث الأول: التحالف الأوروبي الغربي ضد الجزائر من خلال المؤتمرات

في هذا المبحث، سنستعرض كيف تم تناول "المسألة الجزائرية" في تلك المؤتمرات الدولية، وكيف حاولت القوى الأوروبية توجيه سياساتها الخارجية نحو القضاء على النفوذ البحري الجزائري، وذلك من خلال تحليل مقررات مؤتمر فيينا 1815، ومؤتمر لندن 1816، وكذلك مؤتمر إكس لاشابيل 1818، مع التركيز على أهداف الأطراف الأوروبية المختلفة وموقف الجزائر من هذه التطورات.

المطلب الأول: المسألة الجزائرية في مؤتمر فينا 1815م

كانت معظم الدول الأوروبية وأمريكا في نهاية القرن 18م تدفع ضريبة سنوية وأخرى دورية إلى إيالة الجزائر مقابل حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط ، ومع بداية القرن 19م دعمت الجزائر أسطولها الحربي حتى أصبح يحتل مكانة مرموقة بفضل عدد سفنه وقطعه وقادته الأكفاء مثل الرايس حميدو، ومن ثم تضاعف النشاط البحري مستهدفا جميع الأساطيل الأوروبية المعادية للإيالة الجزائرية، خاصة وأن أوروبا كانت مشغولة بحروب نابليون التي أضعفت قواها فلم تعد تفكر إلا في التخلص من براثين الإمبراطورية الفرنسية، وحينما انتصر الحلفاء أعادوا أسرة البوربون إلى الحكم في فرنسا.

وراحوا يبحثون عن كيفية يحافظون بها على الانتصار، فكلفوا إمبراطور النمسا بتوجيه دعوات لممثلي سائر الشعوب الأوروبية التي شاركت في الحرب لحضور مؤتمر دولي يعقد في فينا"، وهذا المؤتمر في معناه الواسع كان انتصارا للرجعية والملكية في أوروبا، والذي يهمنا منه هو أن المؤتمرين قد ناقشوا وضع حد لتجارة الرقيق في شمال إفريقيا ، ومطالبة الجزائر بالذات بالكف عن محارب جيرانها.[1]

اجتمع مندوبو الدول الأوروبية في مؤتمر فينا لتنظيم المسائل الأوروبية، وطبيعي أن يستطرد الحديث إلى المسائل التي تمس أوروبا في خارجها، ومن هذه المسائل مسألة نقل العبيد من القارة الإفريقية وبيعهم في أسواق الرقيق، واستغل بعض

[1] – عزت عبد الكريم (أحمد) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، د.ن. ع،بيروت ،لبنان.،ص. 327

المندوبين بحث هذه المسألة لإثارة مسألة أخرى ادعوا أنها متصلة بها وهي أسر السفن المغربية للسفن المسيحية واسترقاق الملاحين والتجار المسيحيين ، وقد أثير موضوع الجزائر في مؤتمر فينا في مناسبتين الأولى عندما طالب فرسان مالطة بمنحهم أي مقر في البحر المتوسط ليكون قاعدة لجميع الشعوب المسيحية تعمل منها على تحطيم قراصنة المسلمين بصفة عامة وشمال إفريقيا بصفة خاصة ، والمناسبة الثانية تتعلق بموضوع تجارة الرقيق ورغبة المؤتمرين في تحرير الأسرى المسيحيين الذين ما يزالون بالمغرب، وكان اهتمام مؤتمر فينا بهذه المسائل هو عبارة عن خدمة الأعضاء المشتركين فيه على حساب غير المشتركين، وإعطاء قرارات لها صبغة جماعية، والسماح لأنفسهم بتطبيقها على أنها جزء من القانون الدولي .

اهتم الأميرال سيدني سميث بالموضوع وقدم مذكرة لمؤتمر فينا طالبهم فيها بضرورة وضع حد لأعمال القراصنة، وذلك بقيام عمل أوروبي جماعي وتحطيم حكومات الدايات وإقامة حكومات أخرى مكانها، وأظهر اندهاشه من أن الدول الأوروبية تعتني بإلغاء تجارة الرقيق الأسود وتترك في نفس الوقت مسلمي شمال إفريقيا يأسرون المسيحيين ويجبرونهم على التجديف في السفن ،[1] وأهم ما جاء في تقريره نذكر: ..... ففي الوقت الذي تناقش فيه وسائل إلغاء تجارة الرقيق الأسود في سواحل شمال إفريقيا الغربية، فإنه لمن الدهشة ألا ننتبه إلى الساحل الشمالي لهذه القارة الذي يقطنه الأتراك، الذين يضطهدون جيرانهم ويخطفونهم ليستخدموهم في جدف سفنهم، إن مثل هذه الأعمال لا تغضب الإنسانية فحسب بل تعرقل التجارة، إذ أصبح من الصعب اليوم أن يبحر بحارا ما في البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي على سفينة تجارية دون أن يتعرض لاعتداءات القراصنة». [2]

كما قدم سيدني سميث الوسائل الكفيلة للقضاء على القرصنة المغاربية، كما وجه الأنظار خاصة إلى داي الجزائر الذي اتهمه بأنه لا يعترف بسيادة السلطان العثماني، ودعا الدول الأوروبية إلى القيام بعمل مشترك ضده، وأكد لهم أنه ليس في هذا العمل اعتداء على سيادة السلطان بل تأكيدا لهذه السيادة في نظره [3]، ولإثارة المشاعر العدائية عاب سميث

[1] – جلال يحي : المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، ج3 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص 91

[2] – أرزقي شويتام : المرجع السابق ، ص 148

[3] – أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص327

على الدول الأوروبية الإتاوات التي تدفعها للداي، وأشار إلى أن فرسان مالطة لن يستطيعوا وحدهم القضاء على القرصنة المغاربية، فالأمر يحتاج إلى إجراءات أشد، وهذا العمل المشترك العسكري والدبلوماسي الذي يدعوا إليه سميث لن يكون الغرض منه سوى جعل أوروبا في مأمن عن العدوان في رأيه، ويكفي لذلك في رأيه أن تقوم أوروبا بتحطيم الحكومات المغاربية القائمة وتقيم مكانها حكومات ترعى مصالح التجارة وتنسجم مع بقية دول العالم إلى أن فرسان مالطة لن يستطيعوا وحدهم القضاء على القرصنة المغاربية، فالأمر يحتاج إلى إجراءات أشد، وهذا العمل المشترك العسكري والدبلوماسي الذي يدعوا إليه سميث لن يكون الغرض منه سوى جعل أوروبا في مأمن عن العدوان في رأيه، ويكفي لذلك في رأيه أن تقوم أوروبا بتحطيم الحكومات المغاربية والمتمعن للعلاقات الدولية في وقتنا المعاصر أي في مطلع القرن 21م يبصر جيدا أن هذا المبدأ قد سيطر على فكر الغرب وأيديولوجيته تجاه الشرق، وأصبح كمبدأ أساسي تتعامل به الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في علاقاتها الدولية، حيث كثيرا ما تحزبت الو.م.أ وأوروبا إلى تفكيك دول لم تساير شروطها ومصالحها وأقامت مكانها حكومات تابعة لها تنفذ سياستها وفق قرارات منتهية وأهداف مرسومة.

اقترح سميث على المؤتمرين في فينا طريقتين هما متكاملتين لإجبار الجزائر بصفة خاصة والإيالات المغربية تونس وطرابلس الغرب بصفة عامة على التخلي عن نشاط القرصنة، تمثلت الطريقة الأولى في تكوين قوة بحرية مشتركة بين الدول الأوروبية لمحاصرة السواحل المغاربية ومنع السفن الحربية الخروج من موانئها، أما الطريقة الثانية فهي قيام سفراء الدول الأوروبية بتحميل الباب العالي مسؤولية تلك الأعمال، وهذا من خلال السماح لها بتنظيم عمليات التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية ،[1] وبعد مداولات ومناقشات أجمع الحاضرون على ضرورة القيام بعمل مشترك للقضاء على حكومة الدايات وإيجاد حكومة محلية تحترم القوانين الدولية [2]، ومن جهة أخرى كانت بريطانيا تشعر بنشوة الانتصار على نابليون في معركة واترلو 1815م وأصبحت بعد ذلك سيدة البحر الأبيض المتوسط، فأوكل إليها المؤتمر في هذا الشأن اتخاذ

[1] –حنيفي هلايلي : العلاقات الجزائرية الاوروبية ونهاية الايالة 1815–1830 ، ط1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 2007 ، ص13

[2] – محمد العربي الزبيري : مقاومة الجزائر للتكتل الاوروبي قبل الاحتلال ، مجلة الاصالة ، ع12 ، الجزائر 1973 ، ص122

الإجراءات الكفيلة لتحطيم القرصنة المغاربية [1]تحصلت بريطانيا على الشرعية الدولية التي خولها لها مؤتمر فينا ومكنتها منها قوتها العسكرية المتمثلة في الأسطول البحري الرادع، وأصبح لها الحق في شن هجمات بحرية عسكرية على الإيالات المغاربية، بحجة القضاء على القرصنة وتحرير الأسرى المسيحيين وانطلاقا من هذه المكانة الدولية جهزت نفسها للقيام بحملتها على الجزائر سنة 1816م.لقد كان المؤتمر فينا انعكاسات خطيرة وقاسية على نيابات الشمال الإفريقي، وذلك لما أسفر عنه هذا المؤتمر، وقد شكل أحد الملتقيات الدولية التي حدت من النشاط البحري الجزائري والمغاربي، مما جعل بعض المؤرخين يعتقد أن الحرب الجزائرية الأوروبية التي استمرت ثلاثة قرون قد وضع مؤتمر فينا نهاية لها وذلك بعد تمكن الأوروبيين من الانتهاء من حروبهم الداخلية والتفرغ لحرب الجزائر.

المطلب الثاني: مؤتمر لندن 1816

استغل الإنجليز قرار مؤتمر فيينا 1815م القاضي إلى محاربة القرصنة البربرية " لكي يوجهوا دعوة إلى الدول المعنية إلى عقد مؤتمر في لندن يوم 28 جويلية 1816 لدراسة الإجراءات التي يمكن اتخاذها في هذا الصدد نشطت بريطانيا في السعي لتحقيق فكرة إنشاء عصبة بحرية ترغم دول المغرب على احترام القانون ، ووضع حد للقرصنة واقترحت أن تجمع القوات المتحالفة في مياه البحر المتوسط، وتوضع تحت إشراف مجلس أوروبي على غرار المجلس الذي يشرف على قوات الاحتلال التي تتمركز بفرنسا ، ويكون الحلف لمدة سبع سنوات، فقدم كاسلري هذه المقترحات إلى قناصل الدول في هذا الاجتماع، إلا أن فرنسا رفضتها من خلال رسالة وجهها ريبلو وزير خارجية فرنسا إلى كاسلري بين فيها أن دول المغرب تحترم الحلم الفرنسي، وانهيارها سيؤدي إلى إلحاق الأضرار بتجارتها في المشرق.

أما روسيا فقد عارضت هذا الاقتراح بعدما كانت أيد ته في مؤتمر فيينا لأنها تأكدت من خطر النفوذ البريطاني في الولايات العثمانية على مصالحها، وذلك من خلال رسالة بعثها قيصر روسيا إلى المؤتمر يطلب فيها من الدول الحاضرة بأن

[1] – عمار عمورة : الموجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار ريحانة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2002 ،ص30.

تسأل الباب العالي وترغم الدول المغرب على وقف القرصنة ، أما فيما يخص النمسا فكانت ردت فعلها سلبية بالنسبة للدول الأوروبية لأن روابطها مع الباب العالي كفيلة بأن تحول دون اعتداءات دول المغرب لسفنها[2] ، وإسبانيا هي الأخرى رفضت الاقتراح عندما اقترحت أن يربط المؤتمر موضوع القرصنة بمشكلة الثوار في المستعمرات الأمريكية التي تؤيد بريطانيا استقلالها وانفصالها ، وحتى يعد ريبلو بريطانيا عن الميدان ويحبط مقترحاتها، أعلن أن ايالات المغاربية لا تملك حق إعلان الحرب أو اقرار السلم، ويكفي الدول الأوروبية أن تتفق على مبدأ حق تفتيش سفنها، واحتجاز المسلحة منها، وتقوم بهذه المهمة الدول التي تطل على البحر الأبيض المتوسط . وبهذا لم يستطلع المؤتمرون الخروج بأي قرار نهائي حول المسألة واتفقوا على عقد مؤتمر أخر في إكس لاشابيل 1818.

المطلب الثالث: الأطراف المشاركة وأهدافها

عقد مؤتمر إكس لا شابيل في سبتمبر عام 1818م وقد ضم كل من انجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا ، حيث حضر فيه من الحكام قيصر روسيا وإمبراطور النمسا وملك برسيا ومعهم من تلك الدول معاونون ، فحضر عن روسي «كابو ديستریاس» Mettornich » وعن النمسا «مترنيخ Nesselrode » و « نيسلورد Capodistrias وعن بروسيا هارد نبرج Hardenber والكونت برنشتورف» Bernstorff[1] ومثل انجلترا لورد «كاسلري» ودوق ولنجتون ». وشهد الاجتماع الدوق ريشيلو » وزير خارجية فرنسا.[2]

ولقد تباينت أهداف كل طرف من المؤتمرين وفق ما يخدم مصالح كل طرف، حيث نجد أن انجلترا ترى في عدم تدخل الدول الأوربية في سياسة الدول وحكمها الداخلي ، يجنب الصراعات بين هذه الدول ويسود السلام بينهما ،

[1] – خالد بوهند وفاطمة بن عيسى ،المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية للدراسات التاريخية بالجزائر المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، مج : 09 ، ع : 2018 ، 01 ، ص 65.

[2] – ممدوح نصار وأحمد وهبان ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815-1991 د.ط، قسم العلوم السياسية كلية التجارة جامعة الاسكندرية ، ص 48

ورأت انجلترا أيضا أن حماية ألمانيا وتقويتها لتكون سدا في وجه فرنسا وروسيا[1] ، لان روسيا في تلك الفترة كانت لها أهداف استعمارية في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما يقف ضد مصلحة بريطانيا ، حيث سعت من خلال هذا المقترح أن تزيل أي منافس لها في المنطقة حوض الأبيض المتوسط.

أما روسيا كانت تسعى إلى توسيع نطاق هيمنتها وخروجها إلى المياه الدافئة في البحر وكانت سياسة الإمبراطور روسي اتجاه البحر الأبيض المتوسط أكثر وضوحا حيث طلب في 1816م من أعضاء الحلف المقدس التدخل للقضاء على القراصنة البربرية في البحر الأبيض المتوسط، وأعرب عن استعداده لانجاز هذه المهمة بمفرده بدلا عنهم، إلا أن تدخل بريطانيا عرقله للقيام بذلك بالتعاون مع السلطان العثماني وقد أفسدت خطة القيصر الروسي، وفاوض القيصر ملك اسبانيا فرديناند السابع لأجل الحصول على ميناء جزيرة "ميتروفة، مقابل الحصول اسبانيا على بعض قطع الأسطول الروسي، ومساعدة روسيا في تدعيم سلطة بلاده، وفي مستعمراتها المتمردة في أمريكا الجنوبية.[2]

وكان مترنيخ يريد جعل الحلف الرباعي أداه فعالة لقمع حركات التحرر في جميع أنحاء أوروبا ، والتي يصعب القضاء عليها مع مرور الوقت[3] ، لان من أهداف هذا المؤتمر هو ضرورة التصدي والعمل على إقصاء أسرة نابليون عن حكم فرنسا[4] ، خوفا من انتشار أفكار الثورة الفرنسية نحو هذه الدول ، حيث كانت تسعى هذه الدول إلى تحقيق مصالحها المشتركة والحفاظ على سلامة أوروبا وأمنها.[4]

أما فرنسا فقد سعت بقيادة الدوق ريشيلو إلى سحب قوات دول الأعضاء من فرنسا وقبول فرنسا في الواجهة الأوروبية ، الأمر الذي تطلب إيفاء فرنسا بكل التزاماتها المالية لتهدئه شكوك الحلفاء، وإزالة الشك والريبة التي اقترنت بالثورة الفرنسية1، فقد اتخذت وزارة ريشيليو

[1] – أجخدان بو عبد الله المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814 – 1818 مؤتمر إكس لاشابيل 1818 ،مجلة العصور ، ع: 34-35 ، جوان 2017 ، ص 391 .

[2] – مفيد الزيدي موسوعة تاريخ أوروبا الحديث ومعاصر 1789-1914 ، ج 3 ، ط: 1 دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ،الاردن،ص701 ،2004

[3] – ميلاد المقرحي تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848 ، ط 1 ، دار الكتب الوطنية فان يونس بنغازي، 1996 ، ص366

[4] – مفيد الزيدي ، المرجع السابق، ص 701

إجراءات مالية كبيرة وناجحة أثمرت في تسديد الغرامة المالية التي كانت عليها[1]، وكان هدف هذه السياسة التي اتخذتها فرنسا هي جعل الحلفاء يوافقون على جلاء قواتهم من الأراضي الفرنسية3، وكان من مقررات مؤتمر إكس لا شابيل سحب قوات الاحتلال من الأراضي الفرنسية، فقد سعى ريشيلو جاهدا قبل عامين من مؤتمر اكس لا شابيل إلى إقناع كلا من النمسا وروسيا وبروسيا وانجلترا إلى ضرورة سحب قواتهم من فرنسا في اقرب الآجال، وعدم الانتظار إلى نهاية الخمس سنوات التي حددتها في معاهدة باريس الثانية كفترة للاحتلال، وهذا من شأنه أن يزيد في مشاعر العداء لدى الفرنسيين [2]إتجاه هذه الدول والتي قد تسبب في إيقاظ الروح الثورية لدى الفرنسيين[3] ، فقرر المؤتمر أن يجلو هذا الجيش جلاء تاما من فرنسا في 30 نوفمبر بمقتضى معاهدة وقعها المؤتمر في 19 اكتوبر 1818 ، ولم يكتفي ريشيلو بهذا فقط بل طلب من أعضاء المؤتمر أن تصبح فرنسا عضوا في الحلف الرباعي[4]، وهذا ما رفضه القيصر الروسي بحجة أن أصل تكوين تكوين هذا الحلف جاء لمحاربة فرنسا ومبادئها، وشاركه في الرأي مترنيخ ورفضت انجلترا بقيادة كاسلري هذا الموقف من روسيا والنمسا، لأنه كان يرى الخطر كل الخطر في ترك فرنسا في عزلة قد تدفعها إلى التفكير في تعكير جو السلام التي تهدف إليه أوروبا، وقد تفكر في إنشاء جبهة مناضلة للحلف[5] ، وقد انتهى الأمر إلى قبول فرنسا في الحلف والرباعي على أن يمثلها ملكها لويس الثامن عشر.[6]

وتم التوقيع على بروتوكول في 15 نوفمبر 1818م من قبل النمسا ، فرنسا ، بريطانيا بروسيا، وروسيا، والتي بموجبها أصبحت فرنسا كعضو فعال في المحفل الأوروبي تضمن هذا البروتوكول مقدمة وخمسة مواد جاء في مقدمته: "إن وزراء النمسا، فرنسا، بريطانيا، بروسيا، وروسيا قد اجتمعوا في هذا المؤتمر للتدارس العلاقات التي يجب أن تبنى بين فرنسا والدول

[1] – جخدان بو عبد الله ،المرجع السابق، ص 393

[2]– بيير رونوفان ،تاريخ العلاقات الدولية 1815-1914 متر : جلال يحي ، ط : 2 دن ، مصر ، 1971 ، ص 52

[3] – ممدوح نصار وأحمد وهبان ، المرجع السابق، ص 49

[4] – المرجع نفسه، ص 50

[5] – زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص 243

[6] – المرجع نفسه، ص 244

الموقعة على معاهدة باريس الثانية والتي ستضمن لفرنسا المكانة الملائمة في النظام الأوربي مما سينعكس في تعزيز السلام والهدوء العام".

المادة الأولى من البروتوكول فقد بينت تصميم المؤتمرين القوي على عدم التخلي عن مبادئ الاتحاد التصميمي في تسيير علاقاتهم المتبادلة أو علاقاتهم مع الدول الأخرى".

المادة الثانية: فقد بينت أن هذا الإتحاد سيكون قويا وقادرا على الحفاظ مع السلام بقدر عدم اعتماد أعضاءه على المصالح الخاصة، والحاجة المؤقتة في تسيير شؤونهم".

المادة الثالثة: فقد أشارت إلى أن فرنسا التي انضمت إلى الدول الأخرى باسترجاع الملكية الشرعية تتعهد من الآن فصاعدا بأن تتعاون في المحافظة وتعزيز النظام الذي لوحده أعطى السلام لأوروبا، ولوحده يضمن استمرار وبقاء السلام".

المادة الرابعة: فقد بينت أنه من اجل المحافظة على السلام فإن القوى الموقعة على هذا البروتوكول ترى أن من الضروري أن تعقد اجتماعات خاصة إما للملوك أو لوزرائهم أو ممثليهم من أجل معالجة مصالحهم الخاصة بصورة مشتركة، وأن وقت ومكان هذه الاجتماعات سوف يحدد مسبقا من خلال الاتصالات الدبلوماسية، وإذا ما قدر لهذه الاجتماعات أن تتناول شؤون دول أخرى، فيجب أن يتم ذلك من خلال دعوة هذه الدول رسميا للمشاركة فيها.

المادة الخامسة: فقد بينت وجوب إعلام كل بلاطات أوربا بقرارات هذا البروتوكول من خلال تصريح خاص، ويعد مؤتمر إكس لاشابيل من أنجح المؤتمرات الدورية. إذ انتهت بموجبه الوصاية الدولية على فرنسا[1].

وجاء هذا بعدما اقنع مترنيخ دول الأعضاء بالاتفاق السري حيث يتيح لها استخدام جيوشها الأربعة المشتركة والمتحدة ضد فرنسا في حالة ترتب تهديد أمن هذه الدول.[1]

[1] – أ.جخدان بو عبد الله ،المرجع السابق، ص ص 395-396 2 د. ممدوح نصار وأحمد وهبان، المرجع السابق، ص 51

أكمل بروتوكول إكس لا شابيل غير السري ، الذي تم إبلاغه إلى جميع الحكومات الأوروبية ، نسيج نظام فيينا وحال أوروبا، في العقود القادمة ، وستجتمع القوى الخمس الكبرى في عدد من المناسبات لمناقشة استراتيجية مشتركة ، أو تخفيف التوترات فيما بينها ، فيما يتعلق بالعديد من الصراعات والتشنجات التي هزت السلام والهدوء في القارة.

المطلب الرابع :موقف الجزائر من مقررات مؤتمر إكس لاشابيل

كانت المقابلة الأولى في يوم 5 سبتمبر 1819م، حيث توجه مبعوثان لمقابلة الداي حسين على الساعة الحادية عشرة صباحا مرفقين بقنصلي بلديهما العامين وبضابطين من هيئة أركانهما صحبة كل واحد منهما ، ذلك أن الداي قد أعلن أنه سيستقبل ثلاثة أشخاص من كل أمة فقط [1]،أخذ المبعوث الفرنسي الكلمة ليقدم للداي التصريح الذي وضعه المؤتمرون في إكس لا شابيل مرفقا بمذكرة توضيحية وطلب المبعوث من الداي أن يكون رده على الإشعار كتابة ، كذلك استلم الداي المذكرتين ومعها ترجمة باللغتين التركية والعربية الموقعة من طرفهما كذلك ،[2] فقرأها الداي، فاندهش من الاحتجاج المقدم له الذي لا أساس له ، كون الجزائر في حالة سلم مع كل الدول الأوروبية وأنه منذ وصوله لم يحدث شيء من هذا القبيل في الجزائر.[3]

وكان هذا الاجتماع عديم الجدوى، وكان رد المبعوثان أن الجزائر في سلم مع أوروبا منذ أن وصل إلى الحكم لكن ماضي وحكم أسلافه قد وقعت حوادث خطيرة فهو مسؤول عن كافة أعمال أسلافه ، ولعدم معاودة كرة أسلافه تطلب منه دول الأوروبية ضمانات مستقبلية باتخاذ قرار ثابت ومحدد ، فأعرب الداي حسين أنه لن يسمح بحجز أية سفينة ولا ممتلكات أي سفينة أوروبية للذين لهم قنصلا معتمدا في الجزائر ، ويحافظ على السلم بين الإيالة والدول الأوروبية أو أحد رعاياها أليس هو سيد في مثل هذا الأمر في أن يعلن الحرب ويطالب بالتعويضات عن الأضرار التي لحقت به، فكان الود

[1] – جمال قنان ، نصوص وثائق في تاريخ الجزائر الحديث،المؤسسة الوطنية للطباعةوالنشروالتوزيع،1500-1987،1830،ص 267

[2] – أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحدث، دار النهضة ، لبنان، 1970. ص 235-237.

[3] – جحدان بو عبد الله ،المرجع السابق، ص 397

بنعم من قبل المبعوثان لكن المحايدين سيتضررون، وأن هدفنا تأمين المبادلات الأوروبية إلى الأبد وتأمين تجارتها الممارسة تحت حماية القانون العام وحقوق الإنسان ، فرد الداي بعدم إزعاج تجارة المحايدين وهنا طلب المبعوثان تدوين الضمانات كتابة بناءًا على تعليمات حكوماتهما فطلب الداي التفكير في الموضوع إذ شكك في صحة المبعوثين وأنها من تلقاء نفسهما .[1]

أما المقابلة الثانية تمت في 9 سبتمبر 1819م، طلب المبعوثان بواسطة مترجمتهما هل سمو الداي مستعد لإعطاء الجواب مكتوبا ردا على مذكرتيهما ، فكان رد الداي بواسطة مترجمين أنه لم يعتدي على أية دول الأوربية ، وأنه وفق معتقداته ومبادئه ينوي ضبط علاقاته ومساعيه مع الدول الأوروبية دائما في هذا الاتجاه ولكن لا يبدو ضروريا إعطاء هذا الجواب مكتوبا، وعلى إثرها طلب المبعوثان مقابلة الداي لتوضيح الموضوع ، وحددت المقابلة يوم 9 سبتمبر على الساعة الواحدة بعد الظهر وقدم للداي مشروع تصريح مترجم إلى العربية يتضمن التأكيدات التي كلف المترجمين بتبليغها للمبعوثين وترجياه قراءته بتمعن وإقراره بوضع خاتمة عليه ومشروع التصريح هو ما يلي: "إن السيدين مبعوثي جلالتيهما ... إلخ، ترجيا سموه إقرار هذا التصريح بوضع خاتمة عليه[2] ، لكونه لم يعتدي على أية دولة أوروبية مهما كانت منذ توليه السلطة وأنه وفقا لمبادئه، فإن نيته هي ضبط علاقاته دائما في هذا الاتجاه مع الدول الأجنبية.[3]

وعند قراءته صرح بأن يبلغها حكوماتهما به لكنه لم يوقع لكونه لم يتلق أي إشعار موقع من عاهليهما، فكان رد المبعوثان أنه لم تجر ي العادة أن يكتب الملوك عندما يوفدون مبعوثين بل مذكرات فقط فرد لا أستطيع إعطاء الجواب مكتوب، فهدده المبعوثان فرد الداي متسائلا أليس من حقه إعلان الحرب ضد أعدائه فرد مبعوثان أنه خارج مهمتهما وأنه سيعي ضده قوات كل الدول الأوروبية، ورد إذا كان عليه إحراق أسلحته التي لم تعد بناء على ما يطلب منه بذات جدوى فرد مبعوثان يجب الاحتفاظ بأسلحته كما تحتفظ بها الدول الأخرى دون إزعاج وإقلاق تجارة الأمم الأخرى، وصرح الداي

[1] – جمال قنان ،المرجع السابق ، ص 268-269

[2] – جخدان بو عبد الله المرجع السابق، ص 398

[3] – أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق، ص 235-237

باحترام جميع المعاهدات التي تربطه بالأمم الأوروبية التي هي في حالة سلم مع الجزائر ، وقناصل معتمدين لديه ويمنع من الاعتداء عليها لكن له حق بتفتيش وحجز كل السفن التي لا تحمل جوازات السفر مضبوطة، فرد المبعوثان أن هذا هو موضوع الشكوى الرئيسي للدول الأوروبية الكبرى لأنه مضيعة للوقت وزيادة في المصاريف وحجز عالي التكلفة، ولقد لاحظ سمو الداي أنه من الجائز أن يكون في حالة حرب مع تونس ليتأكد من هو صديق وعدو ، فأعرب الداي أنه تربطه علاقة سلم مع الدول الأوروبية التي لديها قنصلا في الجزائر وأمم أخرى تعتبر عدوة ما لم ترسل مبعوثا لتصالح مع الجزائر ، فرد مبعوثان أن هذا المسلك سيعرضه للخطر و يهدد وجود دولته الجزائر وهنا توقف الحديث بين الطرفين وطلب المبعوثان إذن الانصراف مرددين مرة أخرى، إذا كانت نيته الاستمرار في القرصنة ضد التجارة الأوروبية فإنه يجب عليه أن يتوقع انهيال جميع أسلحة أوروبا عليه .[1]

وبهذا لم هذا الاجتماع بأية اتفاق بل ابلغ الداي المبعوثان بأنه لا يخضع للأوامر الملوك الأوروبيين، وأن دولته حرة في محاربة من تشاء وفي سلم مع من شاء، وأنه سيفتش السفن الأجنبية جميعا[2]، وأمر بتكثيف النشاط البحري كما أنذر جميع القناصل الأوروبيين المعتمدين بالجزائر بأنه في حالة ما إذا رفضوا دفع الإتاوات المقررة عليهم يعتبرون أعداء.[3]

[1] – جمال قنان المرجع السابق، ص 270

[2] – جخدان بو عبد الله، المرجع السابق، ص 399

[3] – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 17 –3 أرزقي شويتام المرجع السابق، ص 159

المبحث الثاني: انعكاسات قرارات المؤتمرات الأوربية على الجزائر

سنتناول في هذا المبحث انعكاسات قرارات تلك المؤتمرات وتداعياتها على الجزائر، من خلال استعراض الحملات العسكرية التي شنتها القوى الغربية على الجزائر، بدءًا بالحملة الأمريكية عام 1815، مرورًا بالحملة الإنجليزية الهولندية عام 1816، وصولاً إلى الحملة الفرنسية عام 1830 التي انتهت باحتلال الجزائر.

المطلب الأول: الحملة الأمريكية 1815

قبل التطرق إلى الحملة الأمريكية على الجزائر يجدر الإشارة أن العلاقات الجزائرية الأمريكية كانت علاقة صداقة، وهذا من خلال توقيع على معاهدة السلام في 1795،[1] استمرت هذه العلاقة على أساس المعاهدة المبرمة حتى سنة، 1812 حيث شهدت هذه الفترة نشوب خلاف بين الداي الحاج علي [2] وجيمس ماديسون[3] رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فقوّرت الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر عدم دفع الإتاوات المقررة عليها إلى الجزائر[4]، وتوترت العلاقات بين البلدين مما دفع الداي الحاج علي (1809-1815) إلى طرد قنصلها من الجزائر[2] ، وإعلان الحرب عليها [3]، حيث أرادت الولايات المتحدة الأمريكية دفع نقدا ، لكن الداي الحاج علي كان متمسكا بما اتفق عليه الطرفان آنفاً من خلال دفع تلك الضريبة عتادا بحريا [4]بإضافة إلى ذلك ظهور الخلاف بين التقويم الهجري والتقويم الميلادي، حيث بدا لهم أن الفارق بين التوقيتين يكلف مبالغ إضافية من جهة الأمريكان.

---

[1]- albert devoulx, rais hamidou notice biographique, imprimeur-libraire éditeur, place du gouvernement, 1859,p 115

[2] – الأمير عبد القادر تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ممدوح حقي، ص 75 على تابليت الرايس حميدو أميرال البحرية 1770-1815 م. د. طالة – الابيار ، الجزائر 2006 ، ص 27

[3] – المرجع نفسه.

[4] – على تابليت ، العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830 أطروحة دكتورة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، ص ص 396-395

ويذكروا وليام شالر أن اليهود كان لهم الدور الفعال في اتخاذ الداي مثل هذا القرار حيث طلبوا من الداي بفضل مكانتهم لديه مهاجمة السفن الأمريكية كي ينتهي الأمر بخضوع الولايات المتحدة، وبحصول الإيالة على مبلغ كبير من المال في المقابل تجديد معاهدة السلام معها[1].

ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى انقطاع العلاقات بين البلدين فلين الولايات المتحدة الأمريكية كانت عاجزة عن معاقبة الجزائر أو شن حملة ضدها لانشغالها بمحاربة الإنجليز.[2]

وفي هذه الفترة حدث تطوّر وتغيير في الخريطة العلاقات الدولية حيث وقعت الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا على معاهدة غانت Ghent" في 24 ديسمبر 1814 والتي بموجبها أنهت الحرب بين البلدين [3]، إضافة إلى هزيمة نابليون وانسحاب أسطولهم من مناطق البحر الأبيض المتوسط، أيضا الحدث الأهم هو أن الجزائر كانت سنة 1814في حالة حرب مع ستة دول هي هولندا والدنمرك وايطاليا واسبانيا وبروسيا وروسيا.[4]

وبهذا استغلت الولايات المتحدة الأمريكية الفرصة وطالبت بالانضمام إلى الدول الأوروبية ضد الجزائر، حيث رأت انه الوقت المناسب لتصفية الحساب مع الجزائر،[5] فقرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الجزائر، وتم تجهيز أسطول حربي، وكلف رئيس الولايات المتحدة القيادة إلى القبطان بينبريدج [6]والقبطان ديكاتور[7] وأمرهما بمهمة عقد صلح مع الجزائر

[1] – وليام شائر ، المرجع السابق، ص 141

[2] – سلوى سعد الغالبي العلاقات العثمانية الأمريكية 1830–1918، ط: 1 مكتبة مدبولي القاهرة، 2002 ، ص 33

[3] – جون ب وولف ، الجزائر وأوروبا 1500–1830 متر وتح ابو قاسم سعد الله ، د . ط دار الرائد الجزائر 2009 ، ص 419

[4] – مولود قاسم نايت بلقاسم المرجع السابق، ص 236.

[5] – حنيفي هلايلي ، المرجع السابق، ص 21

[6] – وليام بينبريدج هو الكومدون ويليام بيتبريدج، كانت له زيارة إلى الجزائر من قبل عندما كلف في عام 1800م من طرف الوم. أن يقود الفرغاطة جورج واشنطن الى الجزائر ومعها الجزية المستحقة الى الداي وقد كان القبطان بينبريدج في موضع سخرية عندما رفع العلم الجزائري على الفرغاطة الأمريكية. ينظر على تابليت المرجع السابق ص166.

[7] – القبطان ستيفن هو عميد البحرية ستيفان ديكاتور عين على رأس الحملة الأمريكية على الجزائر في 1815م وفي عهده وقع إلى جانب وليام شاعر المعاهدة الثانية بين الجزائر والو.م.أ، وعاد إلى أمريكا في الجزء الأخير من عام1815م أين استقبل بحفاوة بالغة من مواطنيه ينظر على تابليت ، المرجع السابق، ص 221.

. بشروط مشرفة لأمريكا، غادر الأسطول وليام بينبريدج من ميناء بوسطن بينما انطلق أسطول ديكاتور من نيويورك في شهر ماي عام 1815، ويذكر ويليام شالر أن الأسطول الذي كان تحت قيادة ديكاتور يتكون من ثلاث بوارج حربية وسلوب مركب شراعي واحد السارية و سفينة الحربية ذات ساريتين و ثلاث سكنات.[1]

وفي 16 جويلية 1815 التقى أسطول ديكاتور بالبارجة الجزائرية مقابل رأس غاتا1، بقيادة الرايس حميدو ، فحاصرة أسطول ديكاتور البارجة الجزائرية "المشهودة" من أسطول مكون من عشر مراكب، وبعد يومين من القتال استشهد أثناء تلك المعركة الرايس حميدو2 ، و 30 من بحارته إثر انفجار احد المدافع البارجة فقسمته إلى نصفين، ويقول احمد الشريف الزهار في مذكرته أنه بعد وفاة الرايس حميدو خلفه أحمد ولد عمر المعروف بـ «الباش رايس» الذي ألقى رئيس حميدو في البحر تلبية لوصيته، كما كشف الأسطول الأمريكي على سفينة جزائرية أخرى، فاشتبك معها وأسرها ثم أرسلها إلى قرطاجة الاسبانية ،وفي هذا الصدد يصف لنا الزهار الحالة التي كانت عليها البارجة الجزائرية بقوله : «وانكسرت الفركاطة ودخل الماء بخزانة البارود وكانت كثرة المجاهدين وجرحي ... فمنهم من قطعت له يده، ومنهم من قطعت يداه معا ومنهم من فقد رجليه»،[2] وبعد هذا الانتصار توجه الأسطول الأمريكي إلى ميناء الجزائر، وحاول الأمريكيون التفاوض مع الداي عمر (1815-1817)، الذي امتنع عن مفاوضتهم، ولما اخبروه بمقتل حميدو وبمصير السفينتين ، اضطر إلى التفاوض معهم. وهكذا تم التوقيع على معاهدة في 30 جويلية 1815 ،[3] نصت بنودها على إلغاء الإتاوة السنوية، واطلاق الأسرى الأمريكيين، ودفع تعويضات مقدارها 10,000 دولار نظير استيلاء الجزائريين على سفينة الأمريكية "ايدون" وغيرها من الممتلكات الأمريكية في الجزائر، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية، ووعدت بأن ترد إلى الجزائر السفينتين

[1] – وليام شائر ، المصدر السابق، ص 147

[2] –– وليام سبنسر ، المرجع السابق، 173

[3] – على تابليت ، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ج : 1 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر 2013 ، ص 143

اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي من قبل مشهودة" و "استديرا"، وإطلاق سراح الأسرى الجزائريين، وبموجب هذه المعاهدة تم تنصيب ويليام شالر قنصلا في الجزائر.[1]

احتوت هذه المعاهدة على 22 بند وسنذكر بعضها:

المادة 1 : السلم الدائم والشامل الذي لا يمكن أن يخترق بين البلدين.[2]

المادة 2 يلغى دفع أي جزية بين الطرفين سواء كانت هدايا سنوية أو أي شكل آخر.

المادة 3: على داي الجزائر أن يسلّم فورا إلى الأسطول الأمريكي المتواجد قرب الجزائر جميع المواطنين الأمريكيين الذين في حوزته والبالغ عددهم أكثر من عشرة وأن تسلم الولايات المتحدة الأمريكية رعايا الجزائر والذين يفوق عددهم الخمسمائة.[3]

المادة 4 أن يقوم داي الجزائر بتعويض عادل وكامل لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية على أساس حجزهم وسجنهم من طرف السفن الحربية الجزائرية، أو الذين أجبروا أن يتخلوا عن ملكيتهم في الجزائر بسبب خرق المادة 22 من معاهدة 1795.

المادة 5 : إذا كانت بضاعة من البضائع تابعة لأي دولة يكون فيها أحد الطرفين في حرب محملة على متن سفن تابعة للطرف الآخر، فإنها تستمر بحرية ومن غير مضايقة ولن يكون هناك محاولة للاستيلاء عليها .[4]

[1] – رأي أورين ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية (1776–1816)، تر: إسماعيل العربي د. ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1978، ص 246.

[2] – أحمد شريف الزهار المصدر السابق، ص 118

[3] – أرزقي شويتام المرجع السابق، ص 145

[4] – مولود قاسم نايت بلقاسم المرجع السابق، ص 240

المطلب الثاني: الحملة الإنجليزية الهولندية 1816

تعتبر الحملة التي قام بها الأسطول الإنجليزي والهولندي المتحالف ضد الجزائر من أهم العوامل التي أثرت تأثيرا بالغا على الأوضاع العامة في الجزائر نظرا لما خلفته الحملة من خسائر مادية وبشرية معتبرة. وجاءت هذه الحملة نتيجة عدة أحداث وقعت في تلك الفترة منها:

قيام هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر حيث انطلق الأسطول نحو الجزائر في منتصف شهر جويلية 1815، من اجل معاهدة مع الجزائر، ولكن الداي رفض هذه الاقتراحات حيث أراد أن تقوم هولندا بدفع الضرائب المتأخرة .[1]

ومن جهة أخرى كانت بريطانيا ترى أن تأمين مصالحها في حرية التنقل في البحر الأبيض المتوسط سيساهم في نمو تجارتها لذلك عادت إلى مقترح سيدني سميث الذي تقدم به في مؤتمر فيينا للقيام بحملة ضد الجزائر لاستغلال الأوضاع التي مرت بها فرنسا بعد الحروب نابليونية حيث كانت تسعى ليكون أسطولها هو المسيطر على الحوض الأبيض المتوسط بعد تراجع مكان فرنسا[2]، خاصة بعد سيطرتها على جزر الأيونية[2]، الواقعة على الساحل الغربي لليونان وللتخطيط في كيفية من نفوذها إلى السواحل الجزائر لإظهار التفوق البحري في الحوض البحر الأبيض المتوسط. وبموجب مؤتمر فيينا كُلف اللورد اكسما لوضع حداً لمسألة القرصنة في الحوض الغربي للمتوسط.[3]

وقد قام الإنجليز بإعداد مجموعة من التبريرات لحملتهم ضد الجزائر، ومن بين تلك التبريرات التي تذرعت بها بريطانيا أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في عنابة تحمل العلم الإنجليزي كما أنهم أسروا رعاية سردينيا ونابولي.[4]

[1] – سلوان رشيد رمضان ، إشكالية العلاقات البريطانية الجزائرية الإنسانية ، مج : 23 ، ع : 2016 ، 1 عص 132

[2] – صالح التكريتي الصراع الروسي الفرنسي في البلقان مطلع القرن التاسع عشر مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب العدد 14 بغداد 1989، ص 68

[3] – عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغربي ، دار النشر ،تونس، 1972 ، ص 238

[4] – وليام شائر ، المرجع السابق، ص 150.

وصول الأسطول الإنجليزي في شهر أفريل 1816 بقيادة اللورد اكسماوث قصد افداء الأسر مملكتي سردينيا ونابولي، وأنه في حالة عدم القيام بالمفاوضات خلال ساعتين فإنه سيبدأ القصف، مما أدى إلى الداي إلى قبول اقتراحات اللورد اكسماوث ، وانضمت كل من جنوى وعدد من الممالك الايطالية إلى مفاوضات الصلح، لان القائد كان يتكلم بإسم جميع الدول الأوروبية[1]

طالب قائد الأسطول بإطلاق سراح الأسرى النصارى مقابل القليل من المال وبموجب الاتفاقية فقد دفعت مملكة سردينيا مبلغ 500 دولار عن كل أسير، مع إطلاق الجزائريين المحتجزين في سردينيا بدون فدية، على أن تعاملها الجزائر بمثل المساواة مع بريطانيا، وأما نابولي فقد دفعت فدية مقدارها 1000 دولار عن رعاياها، إلا أن الباشا عمر رفض وأخباره أن نابولي دولة مستقلة ولها ملكها ولا يمكن تسليم الأسرى إلا بطلب منها، ثم غادر الأسطول الإنجليزي الجزائر إلى تونس وطرابلس وأبرم مع حكامها معاهدة سلم وحرر بموجبها أسرى سردينيا ونابولي بدون أن يدفع لهم فدية.[2]

. وفي شهر ماي 1816 عاد الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر ولما علم اللورد اكسماوث باستعداد الجزائر لمحاربته ، رفع العلم الأبيض ، واتفق الداي مع القائد الإنجليزي أن ينتظر الرد من السلطان العثماني خلال 6 أشهر حول مسالة الأسرى[3]، وبهذا انتهى النزاع والصراع بين الطرفين حيث طلب اكسماوث أن يوصل وبنفسه الهدايا التي كانت من المقرر أن ترسل إلى الدولة العلية ليتم تقديمها باسم الجزائر[4] ، هذه الاتفاقية أثارت سخط الجزائريين واعتبروه تدخلا بالشؤون الإسلامية، ما أسفر على إلقاء القبض على الرعايا البريطانيين والقنصل البريطاني.[5]

[1] –عزيز سامح التر الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ترد. محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1989 ، ص 606 5– د ميلود بلعالية سياسة بريطانيا تجاه الجزائر (1580–1816) مجلة عصور مج : 18 ، ع: 1 ، جوان 2019 ، ص137

[2] – أرزقي شويتام المرجع السابق، ص 152

[3] – لويست فالنسي ،المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر (1790 – (1830) تر الياس مرقص .1، دار الحقيقة، بيروت، 1980، ص 83

[4] – خالد بوهند وفاطمة بن عيسى، المرجع السابق، ص 62

[5] – وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص 191

وفي ماي 1816 هاجم اليولداش مجموعة من الإنجليز كانوا يصطادون المرجان، بسبب التصرفات غير اللائقة، حيث قام اليولداش بتخريب المؤسسات التابعة لشركة صيد المرجان البريطانية، وقتلوا منهم نحو 200 نصراني ونهبوا المرجان الذي بداخلها، ومن جهة أخرى أثارت هذه الاتفاقية غضب الدول الأوروبية كذلك التي اتهمت بريطانيا بأنها تعمل من أجل مصلحتها ، ولقد شجعت الاستشارة الفرنسية الداي عمر باشا على مقارعة شروط اللورد اكسماوث والاستعداد الحربي، وبعد تلك الحادثة عمل الداي عمر على بناء التحصينات مع وصول الحاميات من البايلكات الثلاث إلى مدينة الجزائر ثم اتخذوا مواقعهم الدفاعية، في حين حاول القنصل المملكة المتحدة ماك دونال نصح الداي بقبول الصلح مع الدول الأوروبية إلا أن الداي أجاب بالرفض.[1]

وبعد تسارع الأحداث قررت انكلترا تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر، وتنفيذا لهذا القرار غادر أسطولها الميناء بليموث[1] بقيادة اكسماوث في 28 جويلية 1816، ولما وصل إلى جبل طارق انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة فان كابلان[2]، ومن هناك أبحر الأسطول المتحالف ضد الجزائر[2] ، ليبلغ مجموع القطع البحرية 36 قطعة مختلفة الأحجام، وكان الأميران يعلمان التحصينات ونقاط الدفاع الجزائر العاصمة، بفضل النقيب ورد والضابط ريغل اللذان مكنا رئيسهما من معلومات هامة حول آلية الدفاعية في الجزائر[3]، وكانت كل السفن الحربية الجزائرية راسية في ميناء ووصل عددها بين 40 إلى 50 زورق. وفي 26 أوت 1816 وصل الأسطول الإنجليزي والهولندي ميناء الجزائر[4]، وأرسل اللورد اكسماوت زورقا يحمل العلم الأبيض طالبا الهدنة ومبعوثين يحملان إنذار الأخير يطلب فيه عقد الصلح واطلاق سراح الأسرى والغاء القرصنة وكان الوقت محددا بساعة، وفي الوقت الذي كان الديوان يدرس فيه صيغة الإنذار تحرك الأسطول بسرعة واتخذ وضعا يسمح له بإطلاق النار، وكان الهدف من هذه الحيلة هو الانتظار الوقت المناسب للتحرك في المناطق المكشوفة في مدينة

[1] – عزيز سامح ، المرجع السابق، ص 607

[2] – عبد القادر فكاير ،علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية ، مجلة المواقف ، ع : 1،2007 -2009، ص 195-60

[3] – عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق، ص 239

[4] – يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830 ، طبعة خاصة دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر ، 2009، ص 121

الجزائر من أجل بدء القصف على المدينة، ووفق تقرير القبطان علي : «... على الرغم انه أبرمنا اتفاقا مع الإنجليز والفلامنيك (الهولنديين) على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى إلا أنهم ظهروا في المياه الجزائرية ... وبعد رفع العلم الأبيض الذي يرمز إلى السلام... طلب منا الرد على رسالتهم خلال ساعة و بينما نحن مجتمعين من أجل التشاور ... تقدموا إلى الميناء وأشعلوا نار الحرب فجأة... واستمرت المعركة من الثامنة نهارا إلى منتصف الليل...»[1] ، ولقد استمر إطلاق النار من الساعة الثالثة إلا ربع حتى التاسعة مساءا بدون انقطاع، ولم تتوقف تماما إلا على الساعة الحادية عشر ونصف ليلا مما أدى إلى دمار عدد كبير من المباني الجزائرية وخراب عدد كبير من المراكب البحرية.

وقد أسفرت المعركة عن خسائر فادحة في صفوف البحرية الجزائرية على الميناء ونحو 600 قتيل [2]، وتحطمت عدة تحصينات وأضرمت النار في السفن الراسية في الميناء في حين بلغت الخسائر البشرية لقوات العدو نحو 863 بين قتيل وجريح،[3] ولقد أورد شالر مجموعة الخسائر.[4]

عند الفجر يوم 28 أوت اعترف الجزائريون بعجزهم عن المزيد من المقاومة ، في الوقت الذي كان فيه الأسطول المشترك مستعد الاستئناف الهجوم ، فقبلوا الشروط المهينة التي فرضها المنتصرون.[5]

ولقد أثنى اللورد اكسماوث على شجاعة وصمود الجزائريين في المعركة حيث قال: « لم أرى في حياتي أعداء يحاربون بالإيمان وثبات ورباطة جأش كهؤلاء ».[6]

وأرغم الإنجليز الداي عمر باشا على القبول شروط الهدنة والتوقيع على اتفاقية في 31أوت 1816 وجاء فيها :

[1] – خالد بوهند وفاطمة بن عيسى ،المرجع السابق، ص ص 62-63

[2] – سلوان رشيد رمضان ، المرجع السابق، ص 136

[3] – عزيز سامح الترا، المرجع السابق، ص 609

[4] – وليام شائر ، المرجع السابق، 303

[5] – جون بوولف، المرجع السابق، ص 446

[6] – عبد الجليل التميمي ،المرجع السابق، ص 240

1. إلغاء استرقاق المسيحيين إلى الأبد
2. تسليم جميع أسرى الأوروبيين الموجودون في الجزائر مهما كانت جنسيتهم
3. تلغى الهدايا المقدمة من القناصل إلى الداي
4. تعويض الخسائر التي لحقت بالمملكة المتحدة ورعاياها الدول التابعة لها
5. إعادة المبالغ المالية التي دفعت لها في الحملة السابقة لاقتداء الأسرى[1]

وقد ذكر الزهار أن هولندا عقدت معاهدة مع الجزائر أيضا حيث يقول: «وكذلك عقد الصلح مع الفلامنيك ، ولم يدفع شيئا مما كانوا يطلبونه منه و هو غرامة سبع سنين وكان الفلامنيك يعتزمون أن يدفعوا غرامة الثلاث سنين ، ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معلوم».[2]

وفي الأخير نستنتج أن الحملة الإنجليزية الهولندية قد كسرت شوكة وهيبة الأسطول الجزائري حيث حققت هذه الحملة نجاح باهرا بالنسبة إلى الإنجليز مما شجعهم على القيام بحملة أخرى عام 1824 من أجل الحصول على امتيازات أخرى.

المطلب الثالث : الحملة الإنجليزية 1824

بعد حملة اكسماوث تميزت العلاقات الجزائرية الإنجليزية بمظهر الصداقة والسلم وتمكن الأسطول البحري الجزائري من تجديد قطعه وراحت سفنه تمخر البحار و تمارس نشاطها البحري كالمعتاد، وإن كان ضعيفا عن السابق، غير أن هذا التصرف لاقي سخطا كبيرا بالنسبة للدول الأوروبية وعلى رأسها انجلترا والتي قررت تجهيز حملة على الجزائر سنة 1824.

وبعد رفض الداي لمقررات مؤتمر إكس لاشابيل سنة 1818 ، وهذا ما جعلها تتحين الفرصة المناسبة لتقوم بحملتها، ففي سنة 1823 تأزمت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية لأن هذه الأخيرة كانت تتدخل في شؤون البلاد الداخلية ، خاصة القنصلية الفرنسية التي كانت تستورد الأسلحة ويبيعونها إلى القبائل الجزائرية وفي نفس الفترة ثارت قبائل ضواحي

[1] – وليام شائر ، المرجع السابق، 307

[2] – أحمد الشريف الزهار ،المرجع السابق، ص 145

بجاية على السلطة، مما جعل الداي حسين يوجه مذكر في تاريخ 22 أكتوبر 1823 إلى القناصل المقيمين في مدينة الجزائر، يطالبهم بأن يسلموا له الأشخاص الذين يشتغلون لديهم وينتمون إلى القبائل الثائرة.[1]

ولكن القنصل الإنجليزي لم يستجيب لطلب الداي وأصر على عدم الامتثال الأوامر واعتبر الموقف تدخلا في شؤونه الخاصة، ورد على مذكرة الحكومة قائلا « أنه لن يسلم خدمه إلى الحكومة أبدا».[2]

وأورد الزهار في كتابه معلومات دقيقة عن أسباب توتر العلاقات بين البلدين، فأرجعها إلى تورط بعض الخدم في القنصلية الإنجليزية في الهجوم على إحدى السفن الأمريكية ونهبها عندما قدمت بها أمواج العواصف إلى سواحل بجاية، ورفض القنصل تسليم المتهمين في الحادثة إلى الداي لمعاقبتهم[3]

مما اضطر الحكومة الجزائرية كي تستعمل القوة للقبض على خدم القنصليات و هذا ما جعل قناصلة هولندا و الإنجليز و أمريكا يرفعون احتجاجا، باسم حكومتهم ضد العنف، غير أن الديوان أهمل برقياتهم ولم يعرها أي اهتمام، ولذلك انعقد اجتماع أخر يوم 2 ديسمبر 1823 في دار القنصل الأمريكي ضم جميع القناصلة الأجانب وتمخض عن لائحة احتجاج ثانية حملت حينا إلى الداي الذي ردها عليهم مذكرا إياهم بأن الإيالة حرة في تصرفاتها مع رعاياها تماما كما هو في سائر البلدان المتحضرة [4] و أخبر الدبلوماسيين حكوماتهم بهذا الرد الحاسم، فقامت كل من فرنسا وانجلترا باتخاذ

الإجراءات التي رأتها ضرورية من أجل إرغام الإيالة عن التراجع عن موقفها، فقد أمرت السلطة الفرنسية قنصلها أن يتصل بزميله البريطاني لتضافر الجهود، أما السلطة الإنجليزية أرسلت بارجة بقيادة القبطان سبنسر إلى الجزائر في 27 جانفي 1824، مرفقا بالتعليمات إلى القنصل ماك دونال عن أحداث أكتوبر المنصرم.[5]

[1] – حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية .... المرجع السابق، ص 30

[2] – وليام شالر ، المصدر السابق، ص 194

[3] – احمد الشريف الزهار ، المصدر السابق، ص 151

[4] – محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 128

[5] – حقيقي هلايلي ،الوفاق الأوروبي وانعكاساته على ايالة الجزائر (1815-1830) المرجع السابق، ص 31

كما اشتملت التعليمات على البنود الإضافية لمعاهدة أبرمت بين البلدين بعد حملة اكسماوث، غير أن الداي رفض هذا الاقتراح واعتبر المعاهدة التي أبرمت معهم مدتها ثلاثة سنوات وقد انتهى أجلها، كما رفض التوقيع على البنود الإضافية بحجة أنها تحمل ختم مزيف وليس حقيقي للحكومة الإنجليزية، ولهذا السبب انسحب ماك دونال من الجزائر ولجأ إلى السفينة واتخذ منها مقرا يملي منه شروطه على السلطات الجزائرية ، دون التنازل عن شيء من مضمونها ،[1] ولما علمت الجزائر بهذا التكتل طلبت من الحكومة الإنجليزية استبدال ماك دونال بشخص آخر حيث أصبح يضايق السفن الجزائرية الداخلة والخارجة، ورفضت التفاهم معه وحاول القناصلة المحايدين تسوية الخلاف إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، الأمرالذي جعل سبنسر يعود إلى بلاده.[2]

وفي ظل هذه الظروف علم الداي أن الحرب على وشك الانفجار ، لذلك قرر أن يتخذ كامل الإجراءات اللازمة لمواجهة الإنجليز[3]، وأخبر السلطان العثماني بالأوضاع في الجزائر، و بالاعتداءات الإنجليزية فطلب منه إمداده بالمساعدات العسكرية من خلال السماح بتجنيدهم ومرورهم عن طريق تونس وطرابلس ، لان الإنجليز كانوا يحاصرون الطريق البحري، ولقد دام هذا الحصار مدة ستة أشهر (06)، وظل الإنجليز يعززون أسطولهم يوما بعد يوم، ورغم ذلك فإنهم لم يحققوا أي نتيجة، وأجرى الطرفان عدة مفاوضات باءت كلها بالفشل بسبب أن كل طرف كان متمسكا بموقفه.

وبعد كر وجذب ورفض الداي رجوع القنصل الإنجليزي وفشله في إرغام الداي بواسطة هذا الحصار، قرر الإنجليز استخدام القوة ، فتقدم الأسطول الإنجليزي في 11 جويلية من الميناء، وكان الأسطول الإنجليزي يتكون من ست سفن شراعية ، منها مركب كبير وثلاث بوارج [4]، وفي اليوم التالي وقع القتال حيث قصفت إحدى السفن الإنجليزية التحصينات، فقام الأسطول الجزائري بمطاردتها وإرغامها بالابتعاد عن الميناء وقد نتج عن هذه المعركة قتيلا وجريحا من طرف الجزائري،

[1] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 161

[2] – محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 128

[3] – أرزقي شويتام ،المرجع السابق، ص 164

[4] – أحمد شريف الزهار ،المصدر السابق، ص 153

وفي 13 جويلية انسحبت السفن الانجليزية من الميناء نحو البحر، ويُفسر وليام شالر هذا الانسحاب بقوله: « أن الأميرال البريطاني قام بهذه الحركة في انتظار وصول التعزيزات»[1]من اجل التجهيز لحمله ثانية. وبتاريخ 24 جويلية من نفس العام، أعاد الإنجليز هجومهم من جديد بقوة تمثلت في 22 سفينة منها أربع حاملات للقنابل وأربع سفن كبيرة لنقل المؤن والأشخاص، و بينما كانوا مستعدين لقصف مدينة الجزائر وجدوا الأسطول الجزائري لهم بالمرصاد [2] ابتعد الأسطول الانجليزي عن الميناء، لكن الإنجليز لم يقفوا عند هذا الحد بل أعادوا هجومهم في اليوم التالي مما جعل جميع أهالي مدينة الجزائر يغادرون المدينة ويصعدون إلى المرتفعات المحيطة بهم، و لم يبق في المدينة إلا الجنود المجاهدون الذين دافعوا عن البلاد، وصمدوا أمام الانجليز ثلاث ساعات [3]، مما أرغم الانجليز على الانسحاب من المعركة.[4]

وفي 26 جويلية 1824 أرسل الأميرال الإنجليزي سفينة رفع عليها العلم الأبيض من اجل التفاوض، وقد تم التوقيع على معاهدة السلم بعد استبدال القنصل ماك دونال[5]. و مرة أخرى لم يستطيع الإنجليز فرض سيطرتهم على الجزائر و بهذا تحتم عليهم تغيير سياستهم في كل مرة تجاه الجزائريين و شرعوا في التقارب معهم بدلا من الإعلان الحرب عليهم، من جهة أخرى استطاعت الجزائر أن تسترجع هيبتها التي انكسرت بعد حملة1816.

المطلب الرابع : الحملة الفرنسية 1827 واحتلال الجزائر

عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن التاسع عشر أزمة دبلوماسية نتيجة مسألة الديون [6]الجزائرية على فرنسا، التي تماطلت فرنسا في تسديدها[1] ، وتعود ماهية هذه الديون إلى الثورة التي أسقطت بالنظام الملكي في فرنسا والتي جاءت بقيم الحرية والمساواة، ما أدى إلى عزل فرنسا أوروبيا فقامت الدول الأوروبية إلى مقاطعة فرنسا، و بسبب هذا الحصار

[1] – أرزقي شويتام المرجع السابق، ص 164-165

[2] – وليام شائر ، المصدر السابق، ص 232-234

[3] – حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ، ص 37

[4] – محمد العربي الزبيري ،المرجع السابق، ص 129

[5] – أحمد شريف الزهار، المرجع السابق ، ص 153-1

[6] – غالي الغربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر خلفيات و أبعاد، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 65

اضطرت فرنسا إلى استيراد القمح [1]من الجزائر مع التأجيل في الدفع إلى أن بلغت الديون 2500000 فرنك ذهبي [2]أي ما يعادل سبعة مليون فرنك فرنسي ، ولقد أرسل الداي حسين عدة رسائل إلى الملك الفرنسي [3]شارل العاشر دون أن يتلقى الرد ،وفي 29جويلية وصل مبعوث خاص من شارل العاشر لكن لم تتكل بالنجاح بعدما ان دامت المفاوضات ساعتين نوقشت من خلالها الشروط الفرنسية والتي تتمثل في :

- رد الاعتبار للشرف الفرنسي المهان.
- اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين.

إنهاء فرض الإتاوة وإنهاء القرصنة ولم يتوصل الطرفان إلى حل حيث أعلن لا بروتونيار أمام الداي أن ملك فرنسا سوف يستعمل القوة ليدافع عن حقوق وكرامة فرنسا إذا فشلت المفاوضات، فما كان لـ الداي إلى أن أجابه: «عندي البارود والمدافع».[4]

وفي ظل هذا التوتر القائم بين البلدين و بتاريخ 30 جانفي 1830 اتخذ مجلس الوزراء الفرنسي قرارا بإرسال حملة برية لاحتلال الجزائر ، وفي 12 مارس بعثت مذكرة إلى الحكومات الأوروبية ، فتحمست الدول الأوروبية لتلك الحملة حتى أن إسبانيا سمحت باستخدام جزر البليار[5] ، كمحطة للحملة الفرنسية وساهمت بعدد من السفن التجارية الاسبانية لتدعيم الحملة ، وأثناء التحضير للحملة عملت الجوسية والعمل الدعائي دورا هاما في إضعاف حكام الجزائر، الذين أصبحوا شبه معزولين، وأوهموا فيه الجزائريين أنهم جاءوا إلى الجزائر لتأديب الداي الذي أساء « شرف فرنسا وليس الاحتلال البلاد وطلبوا من الأهالي الانضمام إليهم والتعاون معهم ضد الأتراك».[6]

---

[1] – لوسيت فالنسي ، المرجع السابق، ص 146

[2] – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر د . ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1956 ، ص 77

[3] - الأمير محمد، تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر ، ج : 1 دار غرزوزي وجاويش الاسكندرية ، 1903 ، ص 82

[4] - محمد زروال، المرجع السابق، ص 108

[5] - عاصم سالم يسالم ، جزر الأندلس المنسية : 1 دار العلم للملايين بيروت – لبنان، 1984 ، ص 15

[6] - محمد مورو بعد 500 عام من سقوط الاندلس 1492-1992 د.ط، المختار الاسلامي ، القاهرة ، 1992 ، ص 24

وبينما كانت فرنسا تستعد لقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر كانت الجزائر تستعد أيضا المواجهة الحملة، حيث خصص الداي مرتبات لعدد من الجواسيس في كل من إيطاليا ومرسيليا وطولون وباريس، حيث جاءته الأخبار بأن فرنسا تعد[1] أسطولا رهيبا لإرساله إلى الجزائر، وأكد صحة هذا الخبر سفينتان جزائريتان استطاعتا أن تتسلل ليلا بين السفن الفرنسية المحاصرة[2]، ومن ضمن الأخبار التي نقلتها أن أسطولا سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر ماي 1830، وأنه سيرسو على الأرجح غرب المدينة في شبه جزيرة سيدي فرج[3] ،وهو الوحيد الذي يعرف مناورات وتكتيك الحرب للعدو ، ويضيف أحمد باي: «... أن منطقة سيدي فرج كانت خالية من المدافع والخناق، و كان هناك فقط إثني عشر مدفعا نصبت في بدء إعلان العدوان على الجزائر».

ومن هنا يتبين لنا التحضير السيئ لصد الحملة الفرنسية لأن الداي وأعوانه امتلكهم الغرور وكانوا يظنون أن الفرنسيين لا يقدرون عليهم ، مما سهل على الفرنسيين دخول إلى الجزائر بدون مقاومه تذكر ومن جهة أخرى تجمع الأسطول الفرنسي في الميناء البحري في طولون، وانطلقت الحملة ضد الجزائر اليوم 25 ماي 1830، بقيادة الجنرال دوبرمون4، ولقد اختلفت التقديرات حول تعداد الجيش الفرنسي حيث يذكر لنا سعد الله:،« جمع الفرنسيون جيشا ضخما ... 37000 ألف رجل ... وأسطول جزار بـ 675 سفينة»[4]، وذكر مبارك الميلي أن الحملة كانت تشمل على 700 باخرة ما بين حربية وتجارية، على متنها 33119 جندي6، وذكر جمال قنان في كتابه دراسات في المقاومة والاستعمار و أظن أنها هي أقرب للصواب لأنه يتوافق مع سعد الله في ذلك في قوله: «تم تعبئة الأسطول قوامه ستمائة وخمسة وسبعين سفينة ، منها مائة وثلاث سفن حربية مسلحة بألف وثمانمائة واثنين وسبعين مدفعا ... واثنين وسبعين سفينة موزعة ما بين سفن النقل... وسفن الحماية» [5] ووصل الأسطول إلى سيدي فرج في 14 جوان 1830 ، وفق خطة بوتان الذي وضعها في

---

[2] - سيمون بفايفر ، المرجع السابق، ص 63

[3] - جول رواء ،خيول الشمس (ملحمة الجزائر) سيدي فرج، ج : 1 ، ط 1 ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ابوظبي، 2011، ص 15-40-38

[4] – مبارك بن محمد الهلالي الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث،3 مطابع بدران وشركاه بيروت، لبنان ،1964،ص 323

[5] – جمال قنان ،دراسات في المقاومة والاستعمار د.ط المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر الجزائر ، ص ص 22-23

عهد نابليون والتي أكد فيها أنها نقطة الضعف في الدفاع الجزائري[1] حيث انه كان يعلم بإهمال الأتراك الحصينات البرية مقارنة بالدفاعات البحرية، وفي ظل غياب التحصين الدفاعية استطاع الفرنسيون، بدون مقاومة من استيلاء على ميناء سيدي فرج حيث أنها كانت خالية من العسكر.[2]

[1] – مولود قاسم نايت بلقاسم المرجع السابق، ص 232

[2] – الأمير عبد القادر الجزائري المرجع السابق، ص 83

خلاصة الفصل

من خلال دراسة مسألة الاسترقاق الأوروبي في المؤتمرات الدولية التي عُقدت خلال القرن التاسع عشر، يمكن استخلاص عدة نتائج رئيسية حول التحالف الأوروبي الغربي ضد الجزائر وتأثير هذه المؤتمرات على الوضع الجزائري:

- المؤتمرات الأوروبية كانت تهدف إلى القضاء على قراصنة الجزائر وتحرير الأسرى المسيحيين.
- أدت المؤتمرات إلى تدهور العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية.
- تمهدت المؤتمرات الطريق للاحتلال الفرنسي للجزائر في عام 1830م.
- القرارات التي اتخذت في المؤتمرات ساهمت في تقليص نفوذ الجزائر في البحر الأبيض المتوسط.
- المؤتمرات فتحت الباب أمام الدول الأوروبية للاستعمار والسيطرة على المنطقة.

خاتمة

خاتمة

في ختام هاته المرحلة البحثية تم التوصل الى جملة من النتائج ولعل اهمها ما يلي:

أن مسألة الاسترقاق التي طرحها مؤتمر فيينا عام (1815م) والهم بها الدول المغاربية ومنها الجزائر لم تكن مسألة متعلقة بالجزائر وحدها، بل باقي الدول الأوروبية التي نسيت في يوم من الأيام أنها كانت السباقة في هذه المسألة.

إتخاذ الدول الأوروبية مسألة الاسترقاق كذريعة لضرب الجزائر.

إن الوضع الذي عاشه الأسير الأوروبي بالجزائر غير الوضع الذي عاشه الأسير المسلم ببلاد أوروبا، وهذا بشهادة أسرى أوروبيون، وأشهرهم أسير الداي "كالكارت" وحتى القنصل لوجيدي طاسي" الذي اعترف قائلا بأنه يفضل العبودية لمدة 10 سنوات بالجزائر عن الأسر لمدة سنة واحدة في اسبانيا، وما يؤكد على ذلك هو السماح للبعض منهم بتقلد بعض الوظائف، نذكر منهم الأسير "تيدنا" الذي تحول من خادم بقصر الباي محمد الكبير إلى خزن دار.

أن النتائج التي تمخض عنها مؤثر فينا عام (1815م) الداعية بضرورة القضاء على مسألة استرقاق المسيحيين، والحملات التي جاءت لتعبر عن هذا القرار، فبدلها الحالة المعيشية للأسرى بالجزائر، فقد استطاع هؤلاء أن يكونوا لأنفسهم طبقة اجتماعية مهمة

أهم ما ميز حياة الأسرى الأوروبيون بالجزائر هو التسامح الديني والحرية التي منحت لهم في ممارسة شعائرهم الدينية، ويدل على ذلك السجون التي احتوت على معابد وكنائس واحتوت أيضا على خانات وبعض مظاهر الترفيه.

الرعاية الصحية التي تلقاها هؤلاء الأسرى، حيث سمحت الجزائر بإقامة مستشفيات خاصة بهم، إذ أنشأ قساوسة الفداء العديد منها وأشهرها المستشفى الاسبان، هذا رغم أن الجزائر نفسها لم تشهد مستشفيات مثل هذه.

التسامح الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني قد أدى بالكثير من الأسرى إلى اعتناقا للدين الإسلامي، حتى وإن كانت بعض المصادر الأوروبية تشير إلى اعتناقهم الدين مكرهين.

مساهمة الأسرى في إدخال العديد من الخبرات والمهارات داخل المجتمع الجزائري خاصة في مجال صناعة السفن والأسلحة والبارود.

شكلت عملية الاقتداء صفقة تجارية للجزائر وذلك نظرا للمستحقات والمداخيل التي كانت تتحصل عليها الجزائر.

كثيرا ما أخذت الدول الأوروبية الأسرى كذريعة لتدخل في مفاوضات مع الجزائر وذلك حتى تمهد لها الطريق وتحصل على امتيازات مهمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الأسرى أحد العوامل التي بفضلها ارتسمت علاقات جديدة ما بين الجزائر والدول الأوروبية، وفتحت أفاقا جديدة في العلاقات.

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكن **تقديم التوصيات** التالية:

- توسيع البحث التاريخي: يُنصح بإجراء دراسات إضافية للبحث في تفاصيل وامتدادات قضايا الأسر والاسترقاق التي طرحتها الدول الأوروبية وتأثيراتها على الجزائر، بما في ذلك التحقق من مزيد من الوثائق التاريخية وشهادات الأسرى.
- التوثيق وتدوين التجارب: ينبغي توثيق تجارب الأسرى الأوروبيين في الجزائر بشكل أكثر تفصيلًا لتقديم صورة شاملة عن حياتهم، والتأثيرات التي تركتها هذه التجارب على المجتمع الجزائري آنذاك.
- استمرار التعاون الأكاديمي: تشجيع التعاون بين الباحثين والمؤرخين من مختلف الدول لدراسة آثار الأسرى الأوروبيين على المجتمع الجزائري وتأثير ذلك على العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01
موقع سوق البادستان

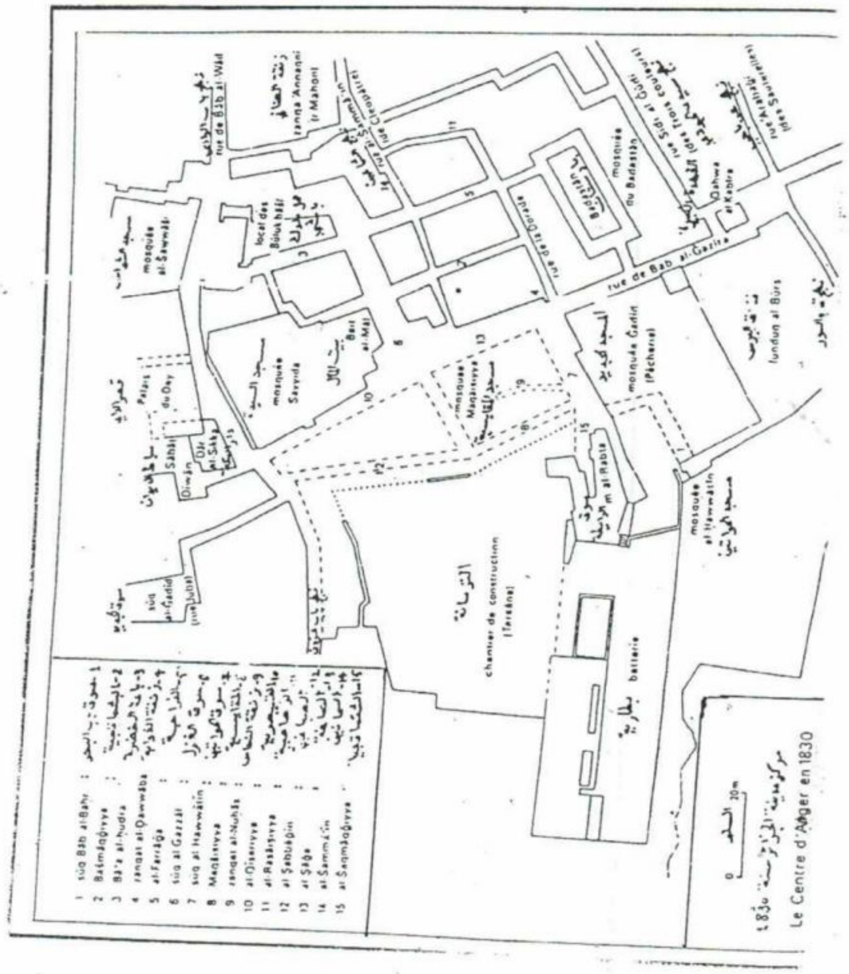

سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص: 200

المادتين الأولى والثانية لمعاهدة الصلح بين الجزائر وإسبانيا 1786

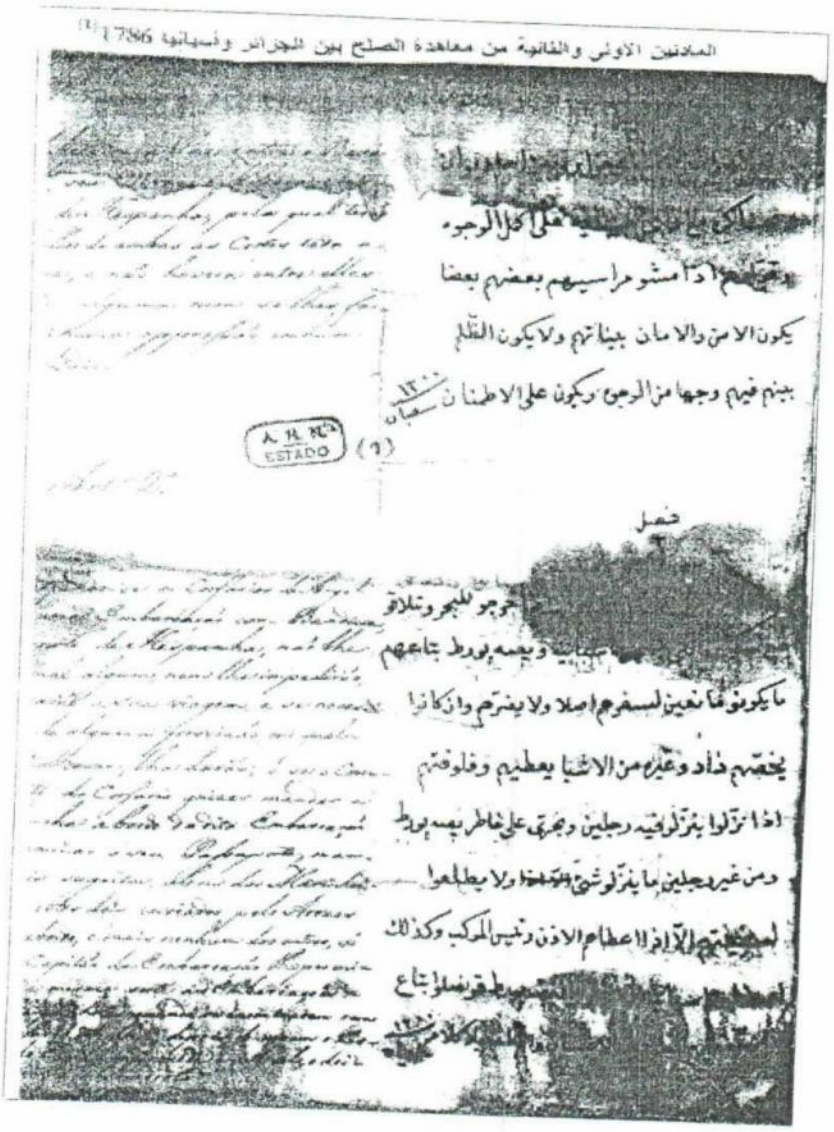

فكاير عبد القادر، مرجع سابق، ص: 470

رسم تقريبي للحملة الإنجليزية على الجزائر 1816

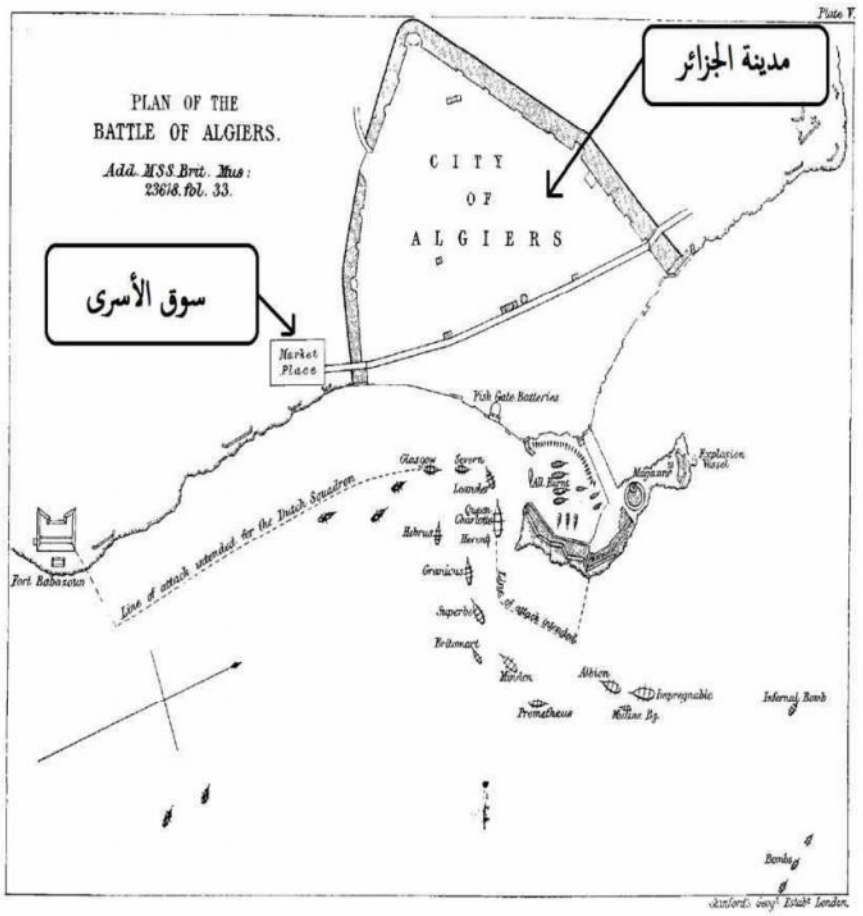

"Plan of the Battle of Algiers", Add MSS.Brit.Mus: 23618.Fol.33. (Playfair, p161)

ملحق رقم04:سوق للعبيد بمدينة الجزائر[1]

[1] نصر الدين براهيمي ، مرجع سابق ،ص93

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- باللغة العربية

- **الكتب:**

1. أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان ،1992
2. أجخدان بو عبد الله، المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية،، دار الكتب الوطنية فان يونس بنغازي،1996
3. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، د . ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1956 4 الأمير محمد، دار غرزوزي وجاويش الاسكندرية
4. أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970
5. أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 1519 – 1830 ، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009
6. -أورين ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية
7. جلال يحي : المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، ج3 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1981 .
8. جون (ب) وولف، الجزائر وأوروبا 1830-1500 ،ترجمة ابو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر2009
9. حسن أميلي ، " القراصنة و معتقداتهم بشمال إفريقيا في كتاب باربارياوقراصنتها " ، تونس2004 .
10. حسن أميلي ،" معاملة الأسرى المسيحيين في كتاب بربارية وقراصنتها للأب بيار دان "
11. حنيفي هلايلي : العلاقات الجزائرية الاوروبية ونهاية الايالة 1815-1830 ، ط1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 2007 .
12. حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني مدار الهدى للطباعة والنشروالتوزيع2008

13. خالد بوهند وفاطمة بن عيسى المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية

14. ديكتودي صوريس : تاريخ الشرفاء ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ، المغرب . 1989 .

15. سلوى سعد الغالبي العلاقات العثمانية الأمريكية مكتبة مدبولي القاهرة،2002

16. سيمون بفايفر ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

17. شويتام آرزقي نظرية نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800 – 1830 م) ، ط1 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : الجزائر ، 2010

18. صلاح العقاد : المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب الاقصى) ط6 ، مكتب الانجلو مصرية ، مصر 1993 .

19. صلاح العقاد المغرب العربي في التاريخ الحديث ومعاصر الجزائر تونس المغرب الاقصى ط مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،1993

20. عاصم سالم يسالم ، جزر الأندلس المنسية ،دارالعلم للملايين، بيروت ، لبنان،1984

21. عبد الرحمان الجيلالي تاريخ المدن الثلاث: الجزائر – المدية– مليانة شركة دار الأمة الجزائر

22. العربي د. ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978مولود قاسم نايت بلقاسم ،

23. عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ،ترد. محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة

24. على تابليت ، العلاقات الجزائرية الامريكية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر،قسنطينة،1985

25. عمار عمورة : الموجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار ريحانة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2002

26. عزت عبد الكريم (أحمد) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، د.ن.ع،بيروت ،لبنان.

27. عمر عبد العزيز عمر : جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث . دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2008

28. مبارك بن محمد الهلالي الميلى ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،3 مطابع بدران وشركاه بيروت لبنان ،1964

29. محمد العربي الزبيري : مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر

30. ممدوح حقي، الأمير عبد القادر تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، البحرية م. د. طالة – الابيار ، الجزائر ، 2006

31. وليام شالر : مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م . تعريب وتعليق و تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التزيع . الجزائر ، 1982

32. وليم سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006

33. يحي بوعزيز علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر2008.

مجلات تاريخية

1. الطاهر تومي . حملة الكونت أورللي «orelly» على مدينة الجزائر سنة 1775م. مجلة الحوار المتوسطي. المجلد07. العدد 02. 2016 . ص260-262.

2. عبد القادر فكاير ، علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية ، مجلة المواقف ،2009

3. اسماعيل بن احمد، قراءة في القرار المشيخي الصادر في 22 أفريل 1863، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد10 ، العدد 02، 2022.

4. ميلود بلعالية، سياسة بريطانيا تجاه الجزائر، مجلة عصور، مج ،دارالنشر، بيروت، 1989.

5. صالح التكريتي ،الصراع الروسي الفرنسي في البلقان مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب،بغداد ،2016

6. عائشة غطاس،الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة

7. محمد العربي الزبيري، " مقاومة الجزائر للتكتل الاوروبي قبل الاحتلال " ، مجلة الاصالة ، ع 12 ، الجزائر ،1973

8. بن جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة عصور ع 12-13 ، جامعة وهران ، الجزائر 2008

9. فاطمة الزهراء سيدهم ،" موارد إلة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر " ، مجلة كان التاريخية ، ع13 ، دار الكتب و الوثائق القومية المصرية ، مصر.

10. بن جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني . مجلة عصور ع 12-13 ،جامعة وهران ،الجزائر ،2008.

11. بليل رحمونة ، دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر ، ضمن مجلة الحوار المتوسطي ،2010

12. محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجزائر للتكتل الاوروبي قبل الاحتلال ، مجلة الاصالة ، ع12 ، الجزائر 1973

13. فاطمة الزهراء سيدهم ، "موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر " ، مجلة كان التاريخية ، ع 13 دار الكتب و الوثائق القومية المصرية مصر ، 2011.

14. عبد الله حمادي، جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان"، مجلة المصادر، ع 06. الجزائر، 2002

15. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث ، طبعة خاصة دار البصائر ، الجزائر ، 2007

16. يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ، طبعة خاصة دار البصائر للنشر

17. جمال قنان ، نصوص وثائق في تاريخ الجزائر الحديث، مؤسسة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر2009

مذكرات ورسائل ودراسات جامعية

1. إسحاق زيتوني ، البحرية الجزائرية و تأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519 – 1800 م) ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث جامعة غرداية ، قسم التاريخ ، 2012

2. بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات ، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة معسكر ،2016-2015

3. جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار،.ط المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر

4. جيلالي بشلاغم، العلاقات الجزائرية الفرنسية ظل سياسات اليمين المتطرف ،كلية-9 –

5. الحقوق والعلوم السياسية، مذكرة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2010

6. خشمون حفيظة مهام، مفتدي الأسرى والتزاماتهم المعيشية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، إشراف أ.د: كمال فيلالي جامعة قسنطينة، قسم التاريخ،2007

7. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغربي، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1972

8. عمار هلال، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 2 10-، ديوان المطبوعات الجامعية، ساحة المركزية، بن عكنون الجزائر ،1995

9. القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر اثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (-1518 1871م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د: ناصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2004

10. محمد الأمين عطلي ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، رسالة ماجستير في التاريخ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، العملة الأسعار والمداخيل مدار القصبة للنشر،الجزائر،2009

ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الغرب الإسلامي2013

المواقع الالكترونية

1. مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، بتاريخ 2025/01/15، رابط الموقع الالكتروني: https://qamus.inoor.ir/ar/1GL07L/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82#sameRoot

2. زينة سمسار. الحملة الفرنسية على فرنسا1930. ب تاريخ2025/01/19. رابط الموقع الالكتروني: https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1189552

2-باللغة الاجنبية

1. Albert devoulx, rais hamidou notice biographique, imprimeur-libraire éditeur, place du gouvernement, 1859.
2. Albert Devoulx, Tachrifat recueil de notes historiques sur ladministration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, 1852.
3. belhamissi (m) , lescaptifsalgériens et l'europe chrétienne 1518 – 1830 , e.n.a.l, alger , 1988
4. Belhamissi (M), Histoire de la marine Algérienne1516-1830, Alger, Enal, 198.
5. Belhamissi (M), Histoire de la marine Algérienne1516-1830, Alger, Enal, 1983.
6. Belhamissi (Moulay), Marine et marins D'Alger 1518-1830, T3, Alger, Bibliothèque Nationale Algérie, 1996.

7. Belhamissi(M), Alger L'Europe et la guerre secrète 1518-1530, Alger, édition -15 Dahlab, 1999,
8. Federico cresti, la population d'alger et son évolution durant l'époqueottmane an ét at des connaissan cecontro verse, in arabica, N°TII, 2005.
9. Kadache (Mahfoud) , L'Algérie durant la période Ottomane , OPU, Alger , 1991
10. Kadache (Mahfoud), L'Algérie durant la période Ottomane, OPU, Alger, 1999.
11. Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646.
12. Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646,
13. Père (Dan), Histoire de Barbbarie et de ses corsaires, Paris, seconde édition, 1646,.alg .2010
14. venture de paradis, Alger au XVII siele édité par e.fagnan alger.1898.
15. Verbruggen, charte des hôpitaux chrétienne d'alger en 1694, r.a.f.
16. Henri Delmas Grammont, (1887) Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)

الملخص

ملخص الدراسة:

شكلت مسألة الاسترقاق أحد المحاور المهمة التي تحكمت في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال عهد الدايات. وقد كانت ظاهرة الجهاد البحري، أو القرصنة كما تشير إليها المصادر الأوروبية، رد فعل على الهجمات والتهديدات الأوروبية وعلى استرقاق المسلمين. ومن أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث:

- تزايد حجم البحرية وتأثيرها على عدد الأسرى الأوروبيين: أدى تزايد حجم البحرية الجزائرية ومدى سيطرتها إلى تأثير ملحوظ على عدد الأسرى الأوروبيين، حيث شهدت الفترة ارتفاعاً وانخفاضاً في عدد الأسرى.
- تأثير الأسرى على العلاقات الجزائرية الأوروبية: برزت قضية الأسرى كأحد النقاط المهمة في المحادثات والمفاوضات بين الجزائر وأوروبا، وكان لها تأثير كبير على العلاقات بين الطرفين.
- التأثيرات الإيجابية والسلبية للأسرى: كان للأسرى تأثيرات إيجابية وسلبية. التأثير الإيجابي تمثل في الأرباح الطائلة الناتجة عن الفدية، في حين أن التأثير السلبي تمثل في اتحاد الدول الأوروبية ضد الجزائر.
- قضية الأسر كعامل تقارب: مثّلت قضية الأسرى أيضاً عاملاً للتقارب، كما لاحظنا في العلاقات مع إسبانيا. فقد كانت هناك رسائل متبادلة بين الطرفين بعد عام 1671، مما أدى إلى فتح محور جديد في العلاقات الجزائرية الإسبانية بدءاً من عام 1768...

الكلمات المفتاحية: الاسترقاق، الجهاد البحري، القرصنة، العلاقات الجزائرية الأوروبية، الأسرى، الفدية، التوترات الدولية، فرنسا، إسبانيا، الحملات العسكرية.

Study Summary:

The issue of slavery was one of the key factors that governed Algerian-European relations during the Regency period. The phenomenon of naval jihad, or piracy as referred to by European sources, was a reaction to

European attacks and threats, as well as the enslavement of Muslims. The main findings of this research are:

- Increase in Naval Power and Its Impact on European Captives: The growth of the Algerian navy and its extent of control had a significant impact on the number of European captives, with fluctuations in their numbers over time.
- Impact of Captives on Algerian-European Relations: The issue of captives emerged as a significant point in the negotiations and discussions between Algeria and Europe, greatly affecting relations between the two parties.
- Positive and Negative Effects of Captives: Captives had both positive and negative effects. The positive impact was seen in the substantial profits from ransoms, while the negative impact was the alliance of European countries against Algeria.
- Captives as a Factor of Reconciliation: The issue of captives also served as a factor of rapprochement, as observed in relations with Spain. After 1671, there were exchanged messages between the two parties, leading to a new phase in Algerian-Spanish relations starting from 1768.

Keywords: Slavery, naval jihad, piracy, Algerian-European relations, captives, ransom, international tensions, France, Spain, military campaigns.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 1

الفصل الاول: الجهاد البحري ودوره في تزايد عدد الاسرى

المبحث الاول: القرصنة والجهاد البحري والاسر 7

المطلب الأول: مفهوم الاسترقاق 7

المطلب الثاني: القرصنة والجهاد البحري 7

المطلب الثالث: عوامل ازدهار النشاط البحري الجزائري 13

المطلب الرابع: تقديرات حول الأسرى بمدينة الجزائر: 15

المبحث الثاني: بعض مظاهر حياة الأسرى الأوربيون: 26

المطلب الأول: الوضع الصحي للأسرى الأوربيين بالجزائر: 26

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية للأسرى 28

خلاصة الفصل 32

الفصل الثاني: : تأثير قضية الأسر في العلاقات الجزائرية الأوربيةمابين1671/1815

المبحث الاول: تأثير قضية الأسر في العلاقة مع فرنسا 35

المطلب الأول: توتر العلاقات الجزائرية وقضية الأسرى بعد 1666 35

المطلب الثاني: بعثة هاي جانفي 1681م : 38

المبحث الثاني: تأثير قضية الأسرى في العلاقات بين الجزائرو إسبانيا 48

المطلب الأول: مع اسبانيا 48

المطلب الثاني: تأثير قضية الأسرفي العلاقات بين الجزائر وانجلترا 53

خلاصة الفصل 58

الفصل الثالث: مسألة الإسترقاق الأوروبي من خلال المؤتمرات

المبحث الأول: التحالف الأوروبي الغربي ضد الجزائر من خلال المؤتمرات 61

المطلب الأول: المسألة الجزائرية في مؤتمر فينا 1815م..... 61
المطلب الثاني: مؤتمر لندن 1816 64
المطلب الثالث :الأطراف المشاركة وأهدافها..... 65
المطلب الرابع :موقف الجزائر من مقررات مؤتمر إكس لاشابيل..... 69
المبحث الثاني: انعكاسات قرارات المؤتمرات الأوربية على الجزائر **72**
المطلب الأول: الحملة الأمريكية 1815..... 72
المطلب الثاني: الحملة الإنجليزية الهولندية 1816 76
المطلب الثالث : الحملة الإنجليزية 1824..... 80
المطلب الرابع : الحملة الفرنسية 1827 واحتلال الجزائر..... 83
خلاصة الفصل..... **87**
خاتمة..... **89**
قائمة الملاحق **92**
قائمة المصادر والمراجع..... **97**
ملخص الدراسة: **105**
فهرس المحتويات **108**

فهرس الجداول

عنوان الجدول	رقم الصفحة
تقديرات عن الأسرى في مدينة الجزائر من مصادر مختلفة	15
تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر بين 1578-1660	17
تعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر1662-1729	19
تعداد الأسرى بمدينة الجزائر مابين(1736-1756).	20

أعداد الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة (1757-1814).	22
توزيع الأسرى حسب الجنسيات في مدينة الجزائر خلال الفترة 1774-1816	24
اسعار الاسرى خلال القرن الستبع عشر	30

فهرس الملاحق

عنوان الملحق	رقم الصفحة
سوق البدستان	92
المادتين الأولى والثانية لمعاهدة الصلح بين الجزائر واسبانيا1786	93
رسم تقريب للحملة الإنجليزية على الجزائر 1816	94
سوق للعبيد بمدينة الجزائر	95